اقرأ

يوسف جوهر

دموع !!
في عيون ضاحكة !





تصدر فى أول كل شهر

رئيس التحرير: السيد أبو النجا



دار المعارف بمصر



يوسف جوهر

دموع !!
في عيون ضاحكة !

اقرأ ٣٥٠

دار المعارف بمصر

اقرأ ٣٥٠ – فبراير سنة ١٩٧٢

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

إلى ابنتي ماجدة

المغتربة في طلب العلم

رعاها الله في غربتها

[signature]

قصص هذه المجموعة كتبت

بين عامى ١٩٤٠ ــ ١٩٦٥

قوام رشیق!



لم يكن أمامى إلا أن أركب قطار الليل من تلك البلدة التى جئتها عند الظهر لمهمة طارئة، فتوجهت إلى المحطة، وقد أوفت الساعة على التاسعة . وكانت مكونة من غرفة يتيمة مخصصة لأحد هؤلاء الموظفين الذين يعملون بسبعة أرواح ، فقد كان هو الناظر والمعاون وموزع التذاكر فى ذات الوقت . استأذنته أن أحتمى بغرفته من البرد ، ومن المطر الذى كان ينهمر ، فأذن الرجل البدين فى فتور ، وكان الضجر يقطر من عينيه . ولقد عذرته . فإن رائحة « التقلية » كانت تقبل من ناحية مسكنه الملحق بالمحطة ، وتذكره بالعشاء الساخن الذى ينتظره ، وبالدفء ، فتباً لهذا القطار البطىء الذى جاءت الأنباء بأنه سيتأخر أربعين دقيقة .

وبدأت بدورى أضجر ، فإنه لم يكن فى الغرفة شىء يعين على ملل الانتظار . كانت الرطوبة تنبع من الجدران العارية . وكأن القشعريرة قد سرت إلى عظام المصباح الوحيد الجاثم على المكتب فصار يرسل الضوء راعشاً شاحباً من فتيلته المدخنة . وينفث فى وجه « حضرة الناظر » نفسه الأسود الكريه، بينما قطرات البترول تتسرب من جسده الذى علاه الصدأ

وترصع الورقة البالية المفروشة فوق المكتب ببقع كبيرة .

وفضل الناظر أن يقتل الوقت بالنعاس فى كرسيه . وسرعان ما صدر من أنفه صوت بينه وبين صفير القطار قرابة قوية ، حتى خيل لى أن القطار سيجىء ويمضى دون أن يفيق .. ولذلك دهشت لما رأيته يفتح عينيه فجأة ، إذ اقتربت من مكتبه خطوات خفيفة لسيدة يصحبها طفل ، تقدمت لتطلب تذكرتين . وأدركت أنه اكتسب من المران تلك القدرة الفائقة على التنبه والإغفاء حسب الظروف فإنه لم يلبث أن أقفل عينيه بعد تسليم التذكرتين ، وسرعان ما تصاعد الصفير من أنفه ، معلناً أنه بدأ من جديد رحلته إلى نعاس مستغرق ، لا حلم فيه . .

ورمقتنى السيدة بنظرة باسمة ، لتشاركنى العجب من هذا التمساح النائم .

وخيل لى أن عينى هذه المرأة مرتا من قبل فى حياتى ، وأقبلت من الباب المفتوح نسمة باردة ، فاختلج المصباح ثم انطفأ ، لكنه قبل أن يلفظ آخر أنفاسه شب فجأة فاندلع فى المكان قبس من النور جلت قسماته وأضاءت ذاكرتى ، فلما ساد الظلام كنت قد عرفتها . . يالتلك الذاكرة التى تحيا وتنشط فى العتمة ، وكأنها تقتات من الظلال التى يتنفس بها الليل والصمت .

لم أكن قد رأيت « إيناس » منذ عشرة أعوام .

والوجه الذى ارتسم فى الظلمة أمامى كان وجهها وقتذاك وهى فى العشرين ، بكل تفاصيله . . آخر مرة رأيتها فيها كانت فى ثياب الحداد

وكان محياها الناصع الممتقع يبدو من الطرحة السوداء التى تستدير حوله بالغ الحلاوة ، وعيناها اللامعتان قد تكسر فيهما الحزن ، كانت وقتذاك أصغر أرملة رأيتها ، ولم تكن قد سلخت فى حياة الزوجية غير عامين .

وتنبهت إلى الشبح الواقف إلى جوارها . . إنه ولدها من ذلك الزواج . . إذن فقد كبر الصغير ، وبلغ الحادية عشرة .

وتذكرت أن قرينها الراحل كان من أبناء هذه البلدة ، وأنها غادرت القاهرة وجاءت إليها لتعيش مع أمه من ريع الأرض الموروثة فى ظروف أليمة .

وكنت أعلم أن « إيناس » رفضت أن تتزوج مرة أخرى .

وكان لذلك قصة حزينة ، هى قصة امرأة صغيرة اعتزمت أن تدوس كل رغباتها وتظل طيلة حياتها أرملة ، برغم أنه كان أمامها ما يدعوه النساء اللاتى فى مثل موقفها « الفرصة الذهبية » .

ولقد عرفت القصة منه ، من صديقى أحمد . . الرجل المرفوض . اتصلت بينهما الأسباب هادئة ، وانتهت هادئة ، ومع ذلك فقد دمرت قلبين .

* * *

كان زوج « إيناس » فى الثانية والثلاثين عندما داهمه الداء . خانه القدر فى شبابه بغتة . بعد عام واحد من زواجه تبين أنه مصاب بسرطان فى المعدة . وكان هناك ما يربطه بالحياة ، حبه لزوجه ولطفله فلم تهن

الحياة عليه ، ويغمرته موجة من الجزع والأسى الدفين .

ولم تلبث العلة أن استفحلت ، وطرحته فى سرير المرض .

ومضى يقاوم ليعيش تلك المقاومة المخفقة . وكان أقسى ما فى الأمر أنه كان يعلم أنه يدنو من الموت ، فكانت نظراته لزوجه الشابة تفيض حسرة وكآبة . وكثيراً ما كان يغرق حسراته فى عبراته . . وتسأله زوجه ، وهى تحتضنه كأنما تريد أن تحميه من المنية : « ماذا بك ؟ » فيغمغم وهو يحدق فى عينيها فى حسرة : « إنك تعلمين ما بى » .

وكان قلب « إيناس » يرتجف من تحديقه ذاك فى عينيها . إن شيئاً غير البكاء يملأ مآقيه . . وذات ليلة وهو يسند رأسه إلى كتفها ، ويمشط شعرها بأصابعه ، بشغف رجل يودع الهناء ، فطنت إلى معنى النظرة التى تفترس مقلتيه . . إنهما تقولان لها : « إنك ستعيشين بعدى » . .

نعم . . إنه يحسدها على حياتها .

إنه يكره ، وقد خسر المعركة ، أن تبقى من بعده ، كأنه يريد أن يأخذ معه ، إلى حيث هو ذاهب ، شبابها الذى يعتقد أنه يملكه ، وأن من حقه وحده أن يستمتع به .

وكانت « إيناس » ذكية ورحيمة ، فرثت له وحزت فى نفسها لهفته ، ورغبته العميقة فى ألا ينفصل عنها . . ومضت تكافح معه العلة بكل قواها ، ذلك الكفاح العقيم ، وتستدعى طبيبه مرات فى اليوم .

وماذا يصنع الطبيب والمسكين يئن ويتلوى . . لم تكن لثماتها التى تغمر بها جبينه وأناملها لتحميه من عذابه ، أو تطفئ تلك النظرة الملتاعة

التى يكتنفها جنون الألم « إنك ستعيشين بعدى » ولم تكن تملك إلا أن تؤكد له بدمعها الحائر ، وبلهجة تقطر صدقاً وإخلاصا : « أريد أن أموت قبلك . . أكره أن أعيش بعدك » .

وحقاً إن المريض كالطفل . . كان التعس يطمئن إلى هذا التأكيد .. ويهدأ . . ويثوب إلى النعاس الذى لم تكن تجلبه حقن المخدر ذاتها .

ثم كان يستيقظ ، ويطلب طفله الذى كان يحبو إلى الثانية فيقبله ، ويقول لها وكأنه يستغفر من هذيانه : « عيشى له . إنه هديتى إليك . . التى تذكرينى بها دائماً . . » .

وكان الطبيب الذى يعالجه ، ويشهد ذلك الكفاح المرير بين الموت والحياة ، هو صديقى الدكتور أحمد .

كان أحمد فتى أميناً رفيع الخلال .. ولم يكن العمل قد قتل الروح الرقيقة الوادعة فى أعماقه ، كما هو الشأن مع بعض الأطباء الذين تنقلب كل نفوسهم إلى مسام متفتحة للنقود ، والمادة وحدها . فكان يحكى لى عن مأساة هذه الأسرة الصغيرة ، بعين منداة .

* * *

ومرت الأيام دون أن يبرأ الزوج أو يقضى ، كأن العناية الفائقة فى العلاج لاتكون فى صالح المريض عندما يبيت هلاكه محققاً ، فإن كل ما تصنعه أنها تؤخر النهاية ، وتطيل سلسلة ذلك العذاب الذى يتمرد

أحياناً على المسكنات ، ولا ينطفئ ، ويغدو معه الموت نفسه هو النعمة المنشودة .

لكن الدكتور أحمد لم يكن يستطيع أن يتصرف تصرفاً آخر . إنه كان طبيباً بكل ما فى هذه الكلمة من دقة . وكان شرف المهنة يعلو فى عينيه على كل اعتبار . حتى لا يملك أن يتحرر من تقاليدها السامية . فكان يردد فى جلساتنا ذلك التساؤل : « ماذا ينبغى للطبيب أن يفعل فى مثل هذه الحالة ، عند ما يكون الموت هو الخلاص الوحيد من العلة .. إننى أعتقد أن الشىء الذى نرهبه ، الذى ندعوه مغادرة الحياة هو طريقة من طرق الشفاء . ثم تلك التعسة التى تظل تتألم ، وتتمزق ، وتكابد كل يوم مثلما يكابد . . هلا يرحم المريض نفسه ويمضى . . إن تلك الحياة الجديدة حياة طفله أصلح للبقاء ، وأحق بالعناية .

لكنه لم يكن يخضع طويلا لهذا المنطق ، ولم يكن يدنو من سرير المريض ، ويرى الألم وهو يدوس محياه بأقدام ثقيلة حتى تثور فى روحه غريزة المعالج ، وينسى كل شىء إلا أنه يكافح الموت .

فهل كان فى أعماقه الدفينة يشفق على ذلك العليل . . أم على الزوجة الصغيرة الشابة ؟ ! . .

لبثت طويلا وأنا أؤخر اتهامه .

إن حرارة تلك اللهجة قد بدأت تزيد يوماً فيوماً دون أن يتنبه . ولقد أدركت أنه مسوق ، دون أن يشعر ، فى ذلك الطريق الشائك المتعرج الذى يشقه فى حياة الإنسان ضلال العواطف .

كان يمشى نحو الهيام بإيناس ، كما يمشى النائم الحالم على حافة سطح شاهق الارتفاع .

ولقد فسرت حلمه الذى قصه على زاعماً أن غموضه يرهقه . فهمت تلك الرغبة التى لايكاد يهمس بها إلى سره إلا قلقاً مرتجفاً « هل يتزوج امرأة مريضه ، بعد أن يغادر هذا المريض دنيانا ! ! »

إن القلب البشرى مهما يكن نبيلا فإنه تمر به فترة حرجة تخونه فيها قواه وتختنق إرادته ، ويحس فى حمّى حاجته إلى امرأة بعينها ، إنه لا يستطيع أن يناضل بعد فى سبيل مثله الأعلى .

ولو كان غير أحمد لما عبأ بالأمر ولسماها مسألة عملية أنه يموت زوج . ثم يحصل على الأرملة .

لكن ضميره الدقيق كان مرهفاً كمشرطه ، فمضى يشرّح به ذاكرته ومشاعره بحثاً عن الدليل الذى يحاكم به نفسه . إنه أحب « إيناس » فى بيت زوجها ، ودخل البيت طبيباً ، فما ينبغى أن يخرج عاشقاً . ولا يليق أن يستغل الموت ويفيد منه ؛ قرر تلك الحقيقة ، وفى الوقت نفسه ثار عليها . شرع القانون ، ورسم الحدود ليعصاه عامداً . لم يكن يريد أن يحصل على ذلك الحب بلا ثمن ، بل كان فى نظر نفسه ذلك الخاطئ المصمم على خطئه ، المستسلم لعقابه وعذابه المقسوم دون أية محاولة للفرار من قصاص الضمير .

وبهذه المشاعر المضطربة كان يلقاها كلما ذهب ليعود المريض ، فيحدق فى وجهها بنهم . ويتعقبها بنظراته اللاهثة الشاكية القلقة التى

لا تريد أن تأثم ولا أن تنصرف ، وهل كان الذى جمع بينهما إلا ذلك التوافق العجيب فى المشارب . لقد أحبت بادئ الأمر رقته ، ولم تعترف لنفسها بأنها تهيم بشخصه إلا بعد أن هربت من ذاتها طويلا ، خجلا من تلك الحقيقة . . ومع أنها كانت تنسى يدها فى يده عند الباب فإنها ظلت تتمنى أن تموت قبل أن تسقط على شفتيها تلك القبلة التى كانت تحلم بها من فمه .

ومع ذلك فإنها لم تنج هى الأخرى ، من تلك الفكرة الرهيبة التى كان الموت يوحى بها : بعد أن يذهب المريض إلى قبره تستطيع أن تتزوج هذا الرجل .

كان هذا التفكير يبدو لها بالغ الخسة ، ممعناً فى النذالة، ومع ذلك فإنها لم تكن تقوى أن تتحرر منه .

وخلال هذا الصراع المر بين الضمير والغرائز كان المريض المشرف على الهلاك يطاردها بعينين حزينتين ، تقولان : « ستعيشين بعدى » .

* * *

وذات ليلة تصاعدت آلام المريض وانقلب أنينه صراخاً مفجعاً .
ولما سكنت النوبة وسرق المخدر وعيه تهالكت « إيناس » التى مزقها الانزعاج باكية ذلك البكاء العنيف الذى يثيره إشفاق لايحد . . حقا أنها ما أحبت زوجها حبًا جارفاً، لكنها ما كرهت قط هذا الإنسان الذى كان يتعذب .

ودنا الدكتور أحمد منها . وأخذ يديها ليواسيها . وكانت ضعيفة

وواهنة ومسلوبة المشاعر . فألقت فى إعياء رأسها على كتفه طلباً للشفقة والرثاء. وألصق هو خده بشعرها بحركة لاشعورية . . وهكذا لقيت الروح المتعبة أختها المتعبة . . .

هل ظلا طويلا هكذا . . .

إن الدكتور أحمد قد حكى لى أنه ما عرف قط كيف حسب الزمان تلك اللحظات ، إنما عرف أن ذلك الحلم الصغير الرقيق قد انقضى . . . فإن « إيناس» قد وثبت فجأة على قدميها وأن الروع قد سرى منها إليه . فوثب هو أيضاً ليرى الزوج الذى لم يغادر سريره منذ شهرين واقفاً يتساند عند باب غرفته .

وكانت لحظة رهيبة سقط بعدها المريض إلى الأرض .

ونقلاه إلى سريره . وقد كانا يستطيعان أن يوضحا الأمر . لكنهما لم لم يفوها بكلمة وكأن براءتهما قد اشتبهت عليهما ! ..

أخذ العليل يحدق فى عينى امرأته لاهث الأنفاس .. ونظرته الثابتة التى كانت تتهم لم تلبث أن غرقت فى دموعه .. إن الرفيقة التى لم يكن يريد أن يموت ليظل معها قد خذلته .. كأن القدر أراد أن يلطم تشبثه بالحياة . . وقد كانت لطمة .. قاضية .

فتح فمه ليتحدث . اختلجت شفتاه . قرأت « إيناس » عينيه وتوقعت أن يقول : « إنك ستعيشين بعدى » .. لكنها كانت عبارة أخرى مريرة : « إنك ستتزوجين بعدى » .

وبكى . . .

وغمغم بكلمات ، فهمت منها : « لو أنك انتظرت قليلا . لكفيتنى هذا الحزن » .

ثم لفظ أنفاسه وأنينه يتقطع على شفتيه .

وقد أكد لها أحمد ، وكان قريباً من السرير : أن المحتضر لم يقل ذلك وأن وهمها الملاحق هو الذى صب هذه المعانى فى أذنيها ، لكنها ظلت مصرة أنها سمعتها .

ولأنها سمعتها أجابت عليها ، ذلك الجواب الرهيب الذى أملته اللوعة : « يا عزيزى فلتطمئن . . أقسم بك إننى سأنتظر ، لا قليلا . . بل دائماً . ولن أتزوج بعدك . وهبت قلبى لك ولولدك » .

* * *

هل ندمت على ذلك القسم عندما انجاب الحزن . . كلا . . لقد صممت أن تدوس شبابها . وقد توسل أحمد إليها لتحل نفسها من هذا القسم . فإنه كان أمام ميت . وقد أصدرته تحت تأثير الوهم بأن الراحل ما زال حيًّا يصغى ويعى . . وما دام لم يسمعه فإنه لن يتمسك به ولن ينتظر منها ذلك الوفاء الأعمى . . وروحه النبيلة فى عالمها الأسمى لاتقبل هذه التضحية العقيمة ، أن تظل أرملة وتقضى على شبابها هذا القضاء وهى فى ربيعها العشرين . . .

لكنها لم تصغ لهذا التوسل . . ولم تقتنع . . وأصرت أنها ما أقسمت أمام جثة والد طفلها بل أمام الموت نفسه .

* * *

وهكذا لم يكن حلمها بسعادة أخرى إلى جانب رجل آخر إلا إغفاءة ضمير حى سرعان ما استيقظ ، وكان أحمد يذوب وجداً وهياماً . وما كان هناك ريب فى أنها تهواه . لكنها ظلت على عنادها وأخفق المسكين فى أن يطرد من قلبها ذكرى الميت .

ورأيتها عنده بعد ذلك ثلاث مرات ، من بعيد ، دون أن نتعارف . . جاءت إلى عيادته لتواسيه . . لتعالجه .. لتطالبه أن يحتمل كرجل .

ولن أنسى تلك المرة الأخيرة التى صادفتها فيها . كانت تهبط الدرج وهى تنتحب . . . وكنت صاعداً لأزوره ، فلما دخلت حجرته رأيته متهالكاً فى كرسيه ممتقعاً . . وبادرنى بقوله إنها جاءت تودعه ، فقد اعتزمت أن تمضى إلى الريف ، لتعيش هناك . . مع أم زوجها . .

* * *

إن عينى التى كانت مفتوحة فى ظلام غرفة ناظر المحطة قد رأت بجلاء عجيب كل مشاهد تلك القصة المؤسية البعيدة . . ولم يخلصنى من ذكرياتى إلا أن الرجل البدين تحرك ، وكأنه شم رائحة القطار من بعيد ، وفتح عينيه ؛ وأضاء المصباح ، وتهيأ للعمل .

وفى النور الجديد رأيت « إيناس » التى أنفقت عشرة أعوام فى حياة الترمل . . إنها الآن فى الثلاثين. .إن جمالها قد نضج . . وبدا مقدساً فى ذلك الثوب القاتم الذى ترتديه . وفى تلك الطرحة السوداء التى تستدير حول وجهها كأنما تحميه من النظرات الطائشة .

وترامى إلى سمعى الحديث الذى كانت تبادله الصبى . . إنها فرحة

لأنه نال الشهادة الابتدائية . . وهى ماضية به إلى القسم الداخلى فى المدرسة الثانوية فى المدينة . . وهى توصيه أن يكون أميناً ومجتهداً . . وتنبهه إلى أنها ستنتظر منه رسالة كل ثلاثة أيام فإن جدته تجن إن أبطأت أخباره . .

إذن فقد بقيت على وفائها لأم زوجها . وظلت تعيش معها كل هذا الزمن فى تلك البلدة الصغيرة المملة . . وما أرحمها . . لقد كان يسقى صوتها ، وهى تتحدث عن المرأة المسنّة ، حنان كبير . .

* * *

فى القطار ضمّنا ديوان واحد ، ولم تكن تعرفنى . فراق لى أن أتأمل محياها دون خجل ، وقد ألقت ذراعها على كتفى ولدها لتضمه إلى جوارها . وأغمضت عينيها .. كانت كحمامة متعبة تضم فرخها تحت جناحها . .

وخيل لى أن الذكريات تترقرق على صفحة هذا الوجه العذب . وأن تحت هذه الطبقة الرقيقة من الهدوء والتسليم يسرى الندم والحنين .

لكن الشفتين الرقيقتين الشاحبتين كانتا تنمان عن العزم ، الذى صاح ذات مرة فى وجه أحمد : « دعنى .. لا أستطيع . . إن ابنى سيكبر . . وسيحتقرنى ذات يوم إذ يكتشف أننى لم أقنع به . . وعندما يعرف أننى تزوجت الطبيب الذى كان يعالج أباه سيسألنى بارتياب : « ألم يقصر ذلك الطبيب عمداً ؟ . . إنه كان صاحب مصلحة . . وإنى لأتهمك معه . . إنك شريكته . . » .

ابنى سيكبر . .

ها هو ذا قد كبر .. وتحققت نبوءتها . . وإنى لأرى فى عينيه أنه فخور بأمه الشابة الحسناء . . وما أجمل صحبتهما . . إن الأمومة قد عوضت « إيناس » وواستها .

* * *

وأخذ القطار ينهب الطريق . . وأخذت الخواطر تنهب رأسى .

إن صديقى أحمد لم يرها منذ عشرة أعوام أيضاً . . وقد اندملت الجراح ، نسى لكنه لم يفكر فى الزواج .. منذ خرجت من حياته ماتت رغبته فى اختيار أخرى .

وباغتتنى فكرة .. إن النادى الذى يسهر فيه قريب من المحطة . . وقد وعدنى أن ينتظرنى عند رصيف القطار فى تلك الليلة ، لنعود إلى إلى الشقة التى نسكنها معاً . . فهل يأتى ؟ وهل تشاء المصادفة الساخرة أن أن يلتقيا هكذا . . بغتة ؟

كم أخافنى ذلك . . أشفقت أن تعاود المسكين رجعة الداء القديم . .

ولما وصل القطار رأيته ينتظرنى . فوثبت ، وهرعت إليه . . لأبعده .

وسرنا معاً .. واتفق ، برغم محاولتى ، أنها مرت بنا ، وتجاوزتنا ، وتقدمتنا دون أن يتنبه .

واطمأنت .. وغلبتني سخرية مرة، فقلت له، وأنا أشير إلى ظهرها وهي تبتعد : « انظر . . إنه لقوام رشيق » .

وغمغم ، وهو يرسل وراءها نظرته الباردة : « نعم إنه قوام رشيق »

ورأيت نظرته تطول ، وكأنه يبحث عن شيء في ذاكرته . .

فخشيت العاقبة ، وناديت عربة ودفعته إليها محتجاً بالتعب .

ولما دخلنا شقتنا لاحظت أنه واجم . . وأنه يحدق في الفراغ وهو يخلع ملابسه بعين ثابتة ، وكأنه يفكر في شيء .

وسألته عما به ، فهمس بلا وعي : « إنه قوام رشيق » .

وعدت أسأله مرة أخرى : « ماذا تعني ؟ » .

أجاب وهو يضحك بمرارة : « خاطر سخيف مر برأسي . . كأن ذلك الشبح القديم الذي دخل حياتي ذات مرة عاد إلى الظهور . لكن كلا . . إنه وهم من الأوهام » .

ومضى إلى النافذة . . وفتحها . . وطفق يحدق في الظلام وكأنه يبحث . . عن شيء ضائع .





الوزير والراقصة!



ككل صباح وقفت السيارة أمام « جروبى » وانزلق السائق من مقعده وأسرع يفتح الباب للسيد الخطير وهو ينحنى باحترام . . وأخرج السيد الخطير من حافظة نقوده الثمينة تذكرة طبية وقال وهو يناولها للسائق :

« هات هذا الدواء من الأجزخانة » .

وأجاب السائق وهو ينحنى باحترام مرة أخرى : حاضر يا معالى الباشا .

* * *

كان السيد الخطير يعرف أنه لم تعد هناك معالى، وأن الباشوية فاضت روحها ، ومع ذلك فلم يكن يكره هذه الكلمات الحلوة من « بكر » السائق . وإنما كان يكره شيئاً غريباً فى صوته ، لعله السخرية وهو يقول : « يا معالى الباشا » .

ولعله أيضاً الشماتة تتقمصه وهو ينحنى له باحترام . . عجباً لهؤلاء الخدم كأنهم فرحون بالمصائب التى حدثت . . . . وكأن « بكر » قال لنفسه الرتبة التى أخذت منه . . أم أنه شرف لهذا الغبى أن يصبح سائقاً عاديًّا بعد أن كان مستمتعاً بلقب سائق . . معالى الباشا .

هكذا حدث السيد الخطير نفسه وهو يتوكأ على عصاه فى مدخل « جروبى » . .وفى الماضى عندما كان يهل من المدخل بطلعته البهية ، كان الناس يخفون لتحيته . . بعضهم يقف . . وبعضهم ينافس «بكر» السائق

فى الانحناء . . وبعضهم يتفوق على « بكر » فى الأدب ويقبل يده .

* * *

ولكن يظهر أن الدنيا تغيرت . . لايوجد الآن راغبون فى فتات الابتسامات التى كان يجود بها . . والعيون . . تتجنبه حيناً . . وحيناً تحدجه بنظرات فيها بريق كأنه بريق الشماتة .

* * *

وطلب فطوره بلاشهية وهو يفكر فى المجد الضائع ، وفى الأيام الجميلة التى ذهبت ولن تعود . كان السيد المهيب وزيراً مرات عديدة من قبل . فإنه كان مستقلا . وكان يحتفظ باستقلاله حتّى يتبين اتجاه الرياح عند تشكيل كل وزارة جديدة ؛ ثم يصيبه حنين مفاجئ إلى المذهب السياسى الذى صعد نجمه ويجد نفسه فجأة مستقلا بعقله وحزبيا بقلبه وعواطفه . . والعواطف لاجناح عليها إن هى تبدلت ، والطلاق جائز شرعاً .

وتنهد السيد المهيب وهو يقلب السكر فى فنجان الشاى . . كان السكر قد ذاب منذ زمان . ولكن الملعقة ظلت تدور فى حركة ذاهلة فى فنجان الشاى ، وفى رأسه لتذيب هناك خواطره الحزينة . . . إنه لن يكون وزيراً بعد اليوم . . . النجوم الصاعدة انصرفت من السماء . . . ولاتوجد ليلى يغازلها ويطلب ودها . وليست هناك هند يناجيها وتشفى نفسه مما يجد . الأحزاب جميعاً . . « شطّبت » والعرس انتهى . . « والمعازيم » . . هربوا . وهيهات أن تمر زفة جديدة . . .

إن عمله الوحيد الآن أن يجلس فى « جروبى » . يدخل فطوره فى جوفه ، ويدفن وجهه فى الصحف ، باحثاً فى أعمدة الوفيات عن ميت يعرفه لكى ينشط إلى الجنازة ويتسلى بالسير فيها ، ويسمع أهل الفقيد يقولون له وهو يقدم العزاء: « مع الشكر يا باشا » .

ولكن يبدو أن عزرائيل اليوم فى عطلة . . . إنه بحث فى الصحف عن ميت معروف أو نصف معروف فلم يجد . وليس أمامه إلا أن يتثاءب فى كرسيه حتى موعد الغداء . . .

وجاء أصدقاؤه . . وجلسوا معه . . . كانوا ثلاثة . . . وأخذ كل منهم يسأل صاحبه : « كيف الصحة يا باشا ...؟ » ، وتكررت كلمة باشا فى الحديث . . وكان كل منهم ينطقها بصوت ملائكى وفى خشوع كأنها صلاة تتلى على ضريح .

كان « جروبى » هو موقف هذه الشلة من الباشوات السابقين ، ينتظرون فيه إلى أن تفرج بوزارة . . فإذا فرجت اختفوا منه . وألهمهم جلال المنصب الترفع عن مخالطة الجماهير ، ولكنهم الآن شعبيون جداً ومقتنعون جداً بأن مقاعد « جروبى » ألذ من مقاعد الحكم .

قال أحدهم وهو يتنهد ، بعد أن ألقى نظرة على العناوين الكبيرة: « مساكين هؤلاء الشبان يتوهمون أنهم سينجحون فى مفاوضاتهم مع الإنجليز . . شبنا وشخنا ومع كل حنكتنا لم نفز من الإنجليز بطائل . . أيظن هؤلاء الأولاد أنهم ينجحون حيث أخفقنا نحن » .

وقال الباشا الثانى وهو يمر بأنامل مرتعشة على شاربه المصبوغ : « دعهم

يتمرنون » ثم أضاف بصوت أعلى وقد أشفق أن يكون الجالس خلفه قد سمعه : « إنهم شبان طيبون مملوءون إخلاصاً » وأدنى الثالث رأسه من الرءوس الأخرى وهمس :

« المسألة ليست طيبة : . . إن إدارة الحكم تحتاج إلى تجربة ومهارة » . وابتلع حبة دواء يساعد المرارة على الإفراز ثم أتم جملته : « إننى كنت وزيراً قبل أن يولدوا لماذا لا يستعينون بخبرتى » .

وقال السيد الخطير الذى جاء أولا إلى الموقف بصوت ينضح براءة : « وخاصة أن الإنجليز يثقون بك . . . يا باشا » .

وفى هذه اللحظة وصل «بكر» السائق وقدم له الدواء الذى جاء به من الصيدلية .. وتطلعت العيون إلى الزجاجة الجميلة، فقال السيد الخطير : « إنها فيتامينات » فمال الباشا الذى يثق به الإنجليز على أذن صاحبه وسأله : « أهى سر نشاطك ؟ » .

وابتسم السيد الخطير وقال فى تواضع : « أى نشاط ؟ ! . . كان ياما كان » .

أما الباشا الذى يصبغ شاربه فأسرع بإخراج مفكرته وقلمه ونقش اسم الفيتامينات الجديدة وهو يقول باهتمام : « دعنى أجربها » .

وقال صاحب الفيتامينات : «إن عندى وصفة إذا أضيفت إلى الفيتامينات كان لها فعل السحر. إنها تجعلكم أقوياء جداً وترد لكم الشباب»، فهتفوا جميعاً فى نفس واحد : « تكلم » .

وقال السيد الخطير : « الجزر المعصور ، مع عصير الكرفس وعصير الخرشوف » .

فقاطعه صاحب المرارة وهو يحدق فيه تحديق الطالب النجيب فى أستاذه : « النسب من فضلك » .

وخرجت المفكرة من جيب الشارب المصبوغ مرة أخرى ليقيد النسب .

* * *

وعلى مائدة قريبة قالت فتاة رشيقة لصاحبتها إنى أعرف وجوههم من الصور . . . هذا فلان . والآخر . . . والآخر فلان الذى كان وزير أوقاف .

قالت الثانية وكان « جروبى » جديداً عليها :

«لأول مرة أرى فيها فى حياتى وزراء وباشوات. يا لها من شخصيات مهيبة . . انظرى إلى علامات الاهتمام على وجوههم . . لاشك أنهم يفكرون فى مصالح البلد . . إن المناقشة بينهم حادة » .

* * *

كانت المناقشة حادة فعلا . . فقد حدث خلاف على « النسب » وطعن أحد السادة البارزين فى قيمة الجزر . ولكن صاحب الفيتامينات انبرى له وفند مزاعمه ، وقال بلهجة الواثق إنى أتكلم عن خبرة .

ونقر الباشا الذى يثق به الإنجليز على المائدة بأنامله فى وقار وقال فى كياسة وروية : « هدوءاً يا سادة وانظروا إلى الشرق .. هنا فتاتان تنفثان من عيونهما السحر » .

وتنهد الباشا الأول وهمس وهو يضع السيجارة فى الفم المذهب: «تعجبنى سيقان الجالسة إلى اليمين» .

ولكن ذا الشارب المصبوغ اعترض قائلا:

« لا ياباشا .. الثانية أحلى .. احكم بالعدل فإنك كنت مستشاراً .. انظر ملياً إلى صدر الثانية . . إن فيه دسامة ».

وتدخل صاحب الفيتامينات قائلا: « هل تريدون رأيى . . . أجمل ما فى المرأة السيقان . . . اسألونى أنا » .

ابتسم صاحب المرارة قائلا : « نعم . . إنك اختصاصى فى السيقان .. إنك دائماً كنت على مودة وعلاقة طيبة بالراقصة . . إياها » .

وأجاب فى تواضع : « يا إخوانى أبداً .. إنها إشاعة أذاعها المغرضون.. لا تصدقوا » .

وقال وزير الأوقاف السابق وهم ينهضون وقد حل موعد الغداء : « هل كنت اكتشفت كوكتيل الجزر والكرفس أيام معرفتك بها يا باشا . . ؟ » .

وضحكوا وهم ينصرفون .

وانتهت جلسة الأقطاب التى بدأت بالرثاء للبلد الذى أصبح فى قبضة حفنة من الشبان عديمى التجربة .

* * *

ولكن الجلسة لم تنته بالنسبة لصاحب الفيتامينات . لم يشعر بنفسه

و« بكر» السائق ينحنى له وهو يفتح باب السيارة . . ولم يتنبه إلى أن السيارة تنهب به طريق العودة إلى البيت ، كانت سيقان الراقصة تملأ خياله .

وأفاق فجأة وصاح بالسائق « قف » .. ثم أكمل وهو يغادر السيارة : عد أنت إلى المنزل . لاينتظرنى أحد على الغداء . . أنا معزوم ».

ومضى يمشي الهوينا . .

كانت بيت الراقصة قريباً . . وقد « وحشه » طعامها . إنه منذ شهور لم يتذوقه . . ولم يمتع ناظريه بساقيها .

تنهد . . وأرسل إلى فمه حبتين من زجاجة الفيتامينات . وسال لعابه .. وسالت الذكريات فى رأسه .

متى عرف الراقصة الساحرة .. إنه رآها لأول مرة فى عرس ابنته .. وكان رقصها وكل حركات جسدها الأفعوانى الفائر المعبر موجهة إليه . . وإليه وحده.

وشعر ليلتها أنه فتنها .

ومنذ الصباح التالى بدأ يشاغله فى التليفون صوت ناعم . . وقالت له صاحبة الصوت الناعم إنها منذ رأته بالأمس لم يهدأ لها بال ولم يغمض لها جفن . . وإنها شابة وصغيرة ولكنها تموت فى الشعر الأبيض . .

وكان أيامها خالى شغل .. لم يكن فى مقاعد الحكم . . وكانت الوزارة القائمة على وفاق مع .. ولى الأمر تنحنى له كما ينحنى « بكر» السائق تماماً وهو يفتح باب العربة، لم يكن لديه أقل أمل فى أن يلبى داعى

الوطن ويقبل الوزارة مضحياً بصحته وراحته؛ ومن هنا صار الحديث التليفونى الناعم شغله الشاغل . . وكان يقفل على نفسه باب مخدعه ، ويأمر بإخلاء الطابق كله . لأنه سيتفرغ لكتابة مذكراته ولايريد ضجة . .

وكان الوقت يمر ممتعاً . . اعترفت له المجهولة صاحبة الصوت الناعم أنها تحبه . . لابد أنها الراقصة فإن ضحكاتها والمعانى فى كلماتها شيقة مثيرة .. راقصة بدورها . وطلب منها موعداً فتمنعت وسببت تمنعها . الحياء . . وشخصيته القوية . . إنها تخاف أن يغمى عليها عندما تصبح بين يديه . .

وكان الإغماء بين يديه هو أعز ما يتمناه . . فإنه يجد نفسه أصغر من عمره بعشرين سنة . وأنه يستطيع أن يمارس كل الحماقات التى مارسها فى فتوته . . وأمام حماسته وحرارته كشفت عن شخصيتها وهى تذوب خجلا . . إنها كما حدث وتوقع .. الجسد الأفعوانى .

* * *

وتردد عليها .. ولكن لم تحدث الأمور التى توقعها . أقسمت له أنها . . . عذراء . وتوسلت إليه أن « يحافظ » عليها ولايستغل شخصيته القوية . . وضعفها .

ووجد نفسه ميالا إلى تصديقها .. حقاً إنها راقصة ولكن أهذا يمنع أن تكون عذراء . . إن المجتمع يقسو فى الحكم عليها كما قسا من قبل فى الحكم عليه .. كم اتهم بأنه رجل غير شريف لمجرد أنه « استفاد »

من بعض الشركات وأثرى من بعض المناورات . . الاقتصادية . .

ولم تكن الراقصة « وش فقر » .. على العكس بعد تردده عليها بأسبوع واحد جاء الخير . . أصيبت الوزارة القائمة بزلزال . . وقذف التركى فى نوبة هياج بالوزراء إلى الخارج كما يقذف الطفل المدلل بتماثيل الخزف التى يلعب بها .

وكان فى بيت الراقصة عندما دق جرس التليفون وزف إليه صديقه مريض المرارة . . البشرى : إنه دخل معه الوزارة الجديدة . .

* * *

وبعد أن حلف رجل الفيتامينات يمين الولاء . . عاد مباشرة إلى بيت الراقصة . . إنه يريد أن يحلف لها هى أيضاً اليمين وهو ما يزال فى كسوة التشريفة .

وأخلت الفتاة البيت .. حتى من الخدم احتراماً لمقام الرجل العظيم وحرصاً على سمعته .

واقتسمت معه كل كأس من زجاجة الوسكى التى حضرت احتفالا بهما بالمناسبة السعيدة .

وذهب الوسكى بالخفر والحياء فرقصت له وحده ، كما لم ترقص من قبل . .

ونسيت أنها . . عذراء .

ونسى أنه ملاذ الأمة فى الملمات .

وفى الصباح استيقظ ليجد نفسه رافلا فى ثوب الراقصة . والراقصة إلى جانبه نائمة فى كسوة التشريفة .

وعندما عادت إلى وعيها بكت بين يديه . . واتهمته أنه استغل طيبة قلبها وسعادتها بدخوله الوزارة ، وسلبها أعز ما تملك .

وطيب خاطرها . . وهمس فى أذنها أنه سيعوضها عما أصابها .

وجاء التعويض فى شكل أذونات استيراد وتصدير لأصدقائها . . . وتعيينات هنا وهناك لمن تعطف عليهم . . وكانت تقسم له إنها ليس لها غرض إلا خدمة الإنسانية .. وكان يصدقها ويقول لها هاشاً : « أنا مثلك . فى تصرفاتى لا أبغى إلا وجه الله والوطن » .

وكان السيد الخطير يحترم منصبه ويربأ بنفسه أن يسهر فى الأماكن العامة مثل الملوك الطائشين . ولذلك اتخذ مع شلته بيت الراقصة الهادئ محلاً مختاراً .

وعلى نغمات الصاجات كانوا يفكرون فى المقالب الوزارية التى تقتضيها مصلحة البلاد العليا .

وأعقب توسع الراقصة فى التعارف بالوزراء أنها توسعت فى خدماتها الإنسانية .

وجمعت فى مدة وجيزة ثروة لابأس بها . .

واستغنت عن بدلة الرقص .

تذكر صاحب الفيتامينات كل هذا وهو يصعد إلى شقتها . . إنه لم يرها منذ شهور . . وإنه ليسأل نفسه : هل تتنكر له بعد أن تنكر

له السلطان وتخلى عنه النفوذ . . إن الغوانى شيمتهن الغدر .

وأسعده أنها استقبلته معانقة. . . ولكنها كانت حزينة . . وباحت له أن القمار والسباق ذهبا بما تدخر وصارت فقيرة معدمة . . وكأنها أميرة .

توقعت منه أن يخرج دفتر الشيكات ، ولكنه تحدث عن قانون الإصلاح الزراعي وكيف جعله من بنى قحطان وهمس فى أذنها : عودى إلى الرقص .

قالت فى حسرة : إننى سمنت وترهلت والأفلام تتطلب نحافة ورشاقة . . وفتحت الدولاب .

هناك كانت بدلة الرقص .

وإلى جوارها بدلة أخرى هى كسوة التشريفة الكبرى . . . التى احتفظت بها منذ تلك الليلة التى أقسم لها فيها يمين الولاء .

وسالت من عينيها دمعة . . .

وسالت من عينه أخرى وهو يتأمل الكسوة ، إنها مثل بدلة صاحبته تمثل المجد الرفيع الضائع .. لا أمل أبداً فى أن يرتديها ويذهب بها إلى القصر .. إن عهد الرقص على الحبل قد ولى وانقضى . . . والأحزاب « شطبت » . . والعرس انتهى والمعازيم هربوا . . . ولا أمل فى « زفة » جديدة يطبل فيها . . هيهات . . .

هذا أنت!



كان ينظر من الشرفة إلى شجرة فى الطريق .. وكره الشجرة .. إنها دائماً جافة جرداء الغصون فى الصيف والشتاء .. وتمنى كما تمنى من قبل لو تهوى عليها فأس وتقطعها عندما اقتحمت أنفه رائحة القهوة . وعرف أن زوجته « فريدة » ، التى تمشى بخطوات لاصوت لها ، قادمة بالصينية والأقداح .. واستدار ليستقبلها وهو يحسّ أن بينها وبين الشجرة الجافة شبهاً . الحياة معها لا طعم لها .. إنه أحياناً يشرب قهوته وهو يرتدى ملابسه ، ثم لايدرى إن كان شربها حقاً إلا عند العودة إلى « الفنجان » والنظر فى قاعه .. كذلك هى .. ينظر إليها ولكنه يراها من الذاكرة .. عشر سنين زواج كافية لكى يحفظها عن ظهر قلب .. صورة وصوتاً .. ليس من الضرورى أن يسمعها لكى يعرف أنها تتحدث إليه عن ذلك الألم فى جنبها .. أو عن حذاء الولد الذى بلى .. أو عن شكوى البنت من مدرّسة تضايقها .

وهو يستطيع أن يتنبأ بأن الشاى على مائدة الفطور سيكون خفيفاً ، وسيحتج كما يفعل دائماً .. وهو يعرف سلفاً أنها ستلومه لأنه ينفض رماد سيجارته فى أى مكان إلا المنفضة التى وضعتها أمامه ، ولكنه لن يتوب .

. . . ثم قبلة وداع عند الباب ، ليست حارة ولا بارده . . الولد والبنت يلعبان أمام باب البيت فى انتظاره . . سيوصلهما إلى المدرسة سيراً على الأقدام تخففاً من نفقات الأتوبيس . . زوجته تقول له كلما ضاق بهذا : « إنه يوفر لنا شيئاً ويوفر لك صحتك . . وزنك بدأ يزيد . . »وهو لا يستطيع أن يعترض فإنها تقاسمه المشقة . . هى التى تذهب لتصحبهما من المدرسة بعد الظهر .

طيبة أنت يا « فريدة » ، ولكنك سقتنى فى طريق التقشف وأنا لا أدرى . . وقد قطعت فيه شوطاً بعيداً . بعد العهد بينى وبين كل مسرة . . هدفنا واحد : أن ندخر كل قرش لنسدد قسط البيت الذى أقامته لنا الجمعية التعاونية .

وعندما تذكّر القسط فضل أن يمشى إلى مقر عمله . . حقاً قلما أدركه الكمسارى فى زحام الصباح ، ولكن ذلك يحدث فى احترامه لنفسه خدشاً طفيفاً . . وقد كثرت الخدوش الطفيفة .

إنه رئيس حسابات الشركة . . والبواب يفتح له المصعد باحترام يوحى بأنه قادم فى سيارته الخاصة أو على الأقل فى تاكسى . . وعندما يصل المصعد إلى الطابق الذى تحتله الشركة يهرع إليه الساعى ليحمل حقيبته الأنيقة . . والموظفون يحيونه باحترام . . وسكرتيرته « رجاء » تقف عندما تراه وعلى محياها ابتسامة طيبة .

ولكنه يعرف أنه لا هو ولا حقيبته يستحقان هذا الاحترام . . فإن فى الحقيبة إلى جوار الملفات الهامة جريدة قديمة ملفوفة على بعض

الشطائر ، لأنه لايعود إلى بيته ظهراً فى بعض أيام الأسبوع ، وقد قال لنفسه إنه يكره المطاعم . . ويشك فى اتباع الطهاة أصول النظافة . . وأخفى عنها أنه يفعل ذلك لأسباب اقتصادية .

خدوش طفيفة ليس آخرها أنه لايخرج علبة سجائره ليدخن إلا إذا رأى السيجارة مشتعلة بين أنامل ضيفه . . ولا يطلب له القهوة إلا وهو منهمك فى حديث تليفونى أو فى النظر إلى ورقة ، لكى ينسى فى غمار انشغاله الإلحاح فى الدعوة .. حاشا أن يفعل ذلك عن عمد وتدبير فإنه صار ملكة وطبعاً لايحاسبه عليه أحد ، ولكنه يحاسب نفسه حساباً يهدأ أحياناً ، ويلتهب أحياناً ، مثل الجلد المصاب بالحكة ما يكاد صاحبه يلمسه حتى يهيج .

حادث صغير جعله اليوم يهرش ذاكرته . . عبثاً يطلب إليها أن تهدأ وتستكين . رفع سماعة التليفون وقبل أن يطلب الرقم سمع ضحكة ناعمة تدغدغ صوتاً رقيقاً يتحدث . . وأدرك أن خطه مشتبك بخط آخر . . وهم أن يعيد السماعة إلى مكانها ولكنه تريث ، فإن الحديث كان جذاباً ، يغرى بالفضول .. الضحكة الناعمة كانت تصد صوتاً يسأل لقاء عاجلا . . خشونة آمرة مغلفة بذلك التوسل الذى يطيب للأنثى . . أنثى تبدى التمنع الذى يحمل جنين الرضا .

وتنفصل الخطوط المتشابكة . . وتختفى هذه الأصوات المترعة بالسعادة . . ويجد « أحمد » السماعة فى يده وقد نسى الرقم الذى كان موشكاً أن يطلبه . .

تمنى لو أنه كان ذلك الرجل الذى يرجو ويتوسل . . لو أنه هدف ذلك الصد الرقيق . . وحك رأسه وهو يبتسم لفضاء الحجرة ابتسامة كسيرة . . ولكن أصابعه أصابت ، تحت فروة رأسه ، ذلك العرق الذى يتصل بالذاكرة . . وهاجت خواطره .

فى الأيام الخوالى كانت له هو أيضاً مواعيد رقيقة .. وكان يستطيع أن يدير رأس الفتاة التى يريد بالقول المعسول . . ذاق من قبل حلاوة العذاب فى الحب . . العاطفة التى كان يشبعها الوصال كانت تهدأ ثم تموت . . ينبغى أن تتألم لكى تكون عاشقاً حقًّا . . وأن تجد فى حلقك الغصة التى دفعت « فرتر » إلى الانتحار بعد موت « شارلوت » . مع فارق بسيط ، إنه ليس من الضرورى أن تنتحر فى عصرنا هذا . . يكفى أن تمرض من الحب . . وحسبك هذا دليلا على أن قلبك حى ينبض .

وتنهد أحمد وهو يتذكر زوجته فريدة . . كانت أحلى مغامراته . . عندما كان يسمع صوتها فى التليفون كانت عروقه كلها تتحول إلى أسلاك متصلة بصوتها . . ما لعروقه الآن قد أصابها التصلب ، وصارت موصلا رديئاً للإرسال والاستقبال .. سخفاً لهذه الحياة الرتيبة . . الولد عاد من المدرسة مرتفع الحرارة ، هل أستدعى الدكتور يا أحمد ؟ . . أختك رتيبه تريد أن تزورنا مساء الخميس هل يلائمك الموعد؟ . . ليس عندنا شىء للعشاء أحضر معك بعض « السجق » . .

دخل عليه الساعى وصوت زوجته يطن هكذا فى أذنه . . رفع

رأسه وتصور لحظة أن زوجته هي الموجودة داخل ملابس هذا الساعي . إنها مولعة بالخدمة . . خدمة الآخرين . . إنها تنسى نفسها فى بيتها ولا تمنح نفسها إلا القليل . حقًا إن الزواج شركة .. ولكن التعب هو البضاعة الوحيدة الموجودة على رفوف الشركة .. شركة على بابها نحاسة علاها الصدأ . . مكتوب فيها : « حياة لا طعم لها » .

يا أحمد يجب أن يكون لحياتك طعم .. مصطفى وكيل الحسابات يتحدث عن مغامراته بوجه يطفح بالبشر والتفاؤل .. له كل يوم حكاية مع فتاة .. إنه يصول ويجول فى ميدان كنت من فرسانه . . أنت أولى بانتصاراته . . جرب . . حطم القوقعة التى حبست نفسك داخلها .

ورفع سماعة التليفون . . هناك رقم ما زال عالقاً بذاكرته . . لم يستعمله منذ تزوج . . .

وأسعده أن « درية » رحبت بأن تراه . .

* * *

وذهب إلى الموعد بعد أن حلق ذقنه بعناية ، وتأنق ما وسعه التأنق .

واحسرتاه . . إنى جئت يا درية من أجل شعرك الأشقر . . ماذا صيره أسود . . أشياء كثيرة فيك صارت لها صبغة جديدة . . حتى الضحك فى عينيك تغير أيضاً لونه . . اللون القديم كان أحلى .. تركت نفسك تسمنين . . أين عودك الهش الضئيل الذى كنت أخاف أن ينكسر تحت ساعدى إذا هصرته . وسمانة ساقك التى كانت رائعة

صارت حبلي كعضلة مصارع . . ليتنى ما اعتنيت بهندامى وطاردت بالملقاط الشعرات البيض لكى أكون فى مستوى الموقف .

الموقف محرج يادرية . . لست المغامرة التى أهفو إليها . . كل ما أملكه لك أن أسمع شكواك من الأيام . . ظللت ترفضين الخاطبين . . لأنك وجدتهم خونة . . طلاب مال أو متعة . . هل أنت واثقة مما تقولين . . سأصبح بعد قليل أحد هؤلاء الخونة . . يشق على أن أصارحك أن لقاءنا لن يتكرر . . هل يكفى التلميح . . أنا الآن زوج يادرية . . زوج وأب أحمل على كتفى جبلا من المسئوليات والهموم . . كنت أظن أن شبح زوجتى عندما أستحضره لك سيفزعك . . ولكنك ثابتة القلب . . تريدين أن ترفعى عنى ظلم زوجة لم أتظلم منها . . وتخفين إلى نجدتى قبل أن استغيث . . وألمح لك أنى لا أفكر فى العبث بثقة زوجتى ، ولكنك ترفضين أن تفهمى .

وهل حقًا لم أفكر فى العبث بهذه الثقة ؟ . .

وضحك من نفسه . . فقد جاء إلى الموعد وأهدار هذه الثقة فى حسابه . . ولكن إستعمال زوجته سلاحاً، يدفع به « درية » ، جعل إثمه فى نظره ، إثمين .

ومع ذلك لم يعد به هذا الشعور بالإثم إلى منطقة الضمير . . إن « درية » قبل أن تذهب قدمت له ، من حيث لاتدرى اقتراحاً بالمغامرة التى يصبو إليها . . فقد تحدثت عفواً عن « سهام » . . وكيف أن الرجال لا يعبدو مثيلان إلا من يها الفتيات العابثات ..

فى اليوم التالى طلب « سهام » فى التليفون . . عرفت صوته فى الحال بعد كل هذه السنين . . . شحنه ذلك بالثقة . وأطربه أنها فرحة بحديثه . . وتأنى لكى تطلب هى الموعد . . وعندما فعلت راودته لذة خفية فى أن يصدها . إنه لممتع أن يكون المرء سيد الموقف . . وبعد أن وضع السماعة بدأ يلوم نفسه . . كيف مضت كل هذه السنين من غير أن يرى « سهام » . . فى الماضى كانت تطارده . . كانت مجنونة به . . ولكنه كان قد دخل منطقة الاتزان ، وكان يدور فى فلك « فريدة » ، الفتاة التى تزوجها من بعد . . ولم يكن ثمة قوة تقدر أن تجذبه . . أما الآن فإنه يحس أن قانون الجاذبية معطل منذ زمن . .

صوت « سهام » على سلك التليفون ما يزال ساخناً ، مشحوناً بالجرأة والرغبة . . . كعهده بها فى الأيام الخوالى لم يكن يطيب لها خفر العذارى . إنها تصرخ فى البوق : « كيف أنساك . . المرأة لاتنسى أبداً رجلا هرب منها ، وحرمها متعة أن تكون البادئة بالهجر . . نلتقى غداً . . غداً بعيد . . لو نلتقى الليلة أكون أسعد » .

ووضع السماعة بيد ترتجف . . . ما تزال مجنونة ، ولكن مرحباً بالجنون الساعة الآن العاشرة صباحاً . . الوقت يتسع لتدبير سهرة خليقة بالمناسبة المهولة . . جعل يقلب الصحف ، « أين تسهر هذا المساء ؟ » العنوان الذى كان بصره يتخطاه دائماً يشعر اليوم أنه موجه له بالذات . . إنه كتب خصيصا من أجله .

وبعد بحث دقيق استقر عزمه على أن يدعو « سهام » إلى ذلك العشاء

الراقص . . ويحك يا أحمد . . التذكرة بخمسة جنيهات . . يارجل « السندوتش» تدفع عشرة جنيهات فى تذكرتين . . خيل إليه أن الجبن « القريش » القابع فى الرغيف الصغير داخل الحقيبة الأنيقة ينظر إليه فى هلع . . . وقال لنفسه وهو يروغ من تلك النظرة : « أنا مدير حسابات . . . ضقت ذرعاً بالحساب العسير . . إن هى إلا نزوة لن تتكرر . . كل الدفاتر مهما تكن منتظمة تقع فيها أغلاط » .

وطافت برأسه فكرة ارتجف منها : لو أن هذا الرغيف الصغير وشى به لزوجته! . . أن تضبطه «فريدة » متلبساً بالخيانة لم يكن شاغله الكبير . . الخيانة هى ثمرة المغامرة وبهجتها .. جزء من متعته أن يتظاهر بعد كل الذى سيحدث بأنه ملاك . . ولكن الذى يخشاه حقًّا أن تضبط زوجته هذا العجز فى الميزانية . . عشرة جنيهات كاملة . . إنها تعرف ما يقبضه بالقرش والمليم . . حقًّا أنه رئيس حسابات ولكن « فريدة » هى السلطة العليا . . إنها الرقابة الإدارية .

ومشى إلى الموعد وهو يفكر فى الطريقة التى سيعلن بها ضياع الجنيهات العشرة . . نشلت يا « فريدة » . . صديق لى معرض أن يحبس فى دين نفقة .. لا . . أفضل من هذا أن أزعم أنى فوجئت بعجز فى الخزينة غطيته قبل أن ينكشف الأمر .

ثم زجر مخاوفه .. لماذا ينغص نفسه بالهواجس . . الآن لا ينبغى أن يفكر إلا فى « سهام » .. ستوافيه فى السادسة تماماً وسيبقى معها حتى منتصف الليل . . ربما الثانية صباحاً .. هذا لن يقلق زوجته .. عودها

أن يسهر كثيراً فى مكتبه مع أرقام الميزانية . . ومن حسن الحظ أن البيت ليس به « تليفون » يمكنها من تعقبه .

السادسة بالضبط كان مرابطاً فى بار شبرد ووجهه إلى الباب . . ووثب قلبه . . « سهام » قادمة تخطر كالغزال . . . الأعوام لم تفعل بها ما فعلته بدرية . . واحتوت الجالسين بنظرة عابرة . . تخطته نظرتها . . ثم جلست بسرعة فى مقعد بعيد ، أسرع من محاولته النهوض لاستقبالها . . واضطر أن يذهب إليها وقد خامره الاستياء ، أنها لم تلحظه لأول وهلة . . واستقبلته وهو يتجه إليها بنظرة متحفظة . . ثم هتفت وهى تمد له يديها الاثنتين :

ــ لم أعرفك فى البداية . . شد ما تغيرت . . . .

ما أحلى هذا اللقاء . . وما أحلى أن يتحدث إلى « سهام » من السادسة إلى الثامنة مع كأس أو كأسين من الويسكى . . ثم يذهبان إلى ذلك العشاء الراقص ، وفى الرأس والقلب نشوة » . . جميلة كما كنت دائماً يا سهام . . لم تزيدى فى العمر ولا سنة واحدة ،

وتركته يمسك يدها وهما يتحدثان ولكن يدها كانت باردة . . وصوتها الذى كان ساخناً فى التليفون صار دافئاً فقط . . دفء المودة بين أصدقاء قدامى . . حدثنى يا أحمد عن أولادك . . عن زوجتك . . هل هى جميلة . . هل أنتما على وفاق . . ليس أجمل فى الحياة من الوفاق بين زوجين .

وحاول أن يتجنب الحديث عن «فريدة» ولكنها ظلت تلح فيه حتى أوشك أن يصرخ بها :

— ميزتك كانت الجنون . . لا مأرب لى فى عقلك .

ولكنه آثر أن يصبر قليلا . . وعدل عن الثورة إلى القول : « حدثيني عن نفسك . . إنني هنا من أجلك . . لا من أجل زوجتي » .

وأجابته ضاحكة : « سأقدم لك تقريراً يا أحمد بقدر ما تسعفني الذاكرة . . بعد أن تزوجت أنت وهجرت أصحابنا . . هجرتهم أنا أيضاً . . وعملت مضيفة جوية . . الطواف بالعالم كان وسيلتي لكي أنسى أشياء كثيرة . . » .

وحدث نفسه : « عظيم . . هذا معناه أن بصماتي ما تزال باقية على قلبها » .

وتحسس تذكرتي العشاء الراقص فى جيبه . . وأثنى على اختياره . . إنهما جواز مرور سريع إلى كل ما يتمناه .

وقطع عليه أفكاره صوتها وهى تقول: « ذات رحلة وأنا أقدم كوب برتقال فى الطائرة لشاب فرنسي أمسك بيدى » . . ولم يفلتها حتى تزوجنا . . . وعشت حقبة فى باريس . . لك أن تفخر أنى "مسحت" الباريسيات . . كان اسمي هناك نفرتيتي . . ولكنى ضقت "بروبير" . . كان غيوراً جداً وكأنه شرقى . . وركلت ملايينه . . وتحررت » .

بعد ربع ساعة كانت قد وصلت إلى زواجها الثالث الذى انتهى بطريقة لابد لها فيها . . مات المسكين فى حادث تصادم . . وأقسمت ألا تتزوج بعد ذلك أبداً . .

قال لنفسه : « حسناً . . انتهت من الحديث عن زوجتي وعن

أزواجها . . جاء دورى . . . الأرامل يبحثن دائماً عن عزاء ، وينشدن الرجل الكتوم .

أشار للجرسون طلباً للكأس الثانية، احتفاء بالبداية الحقيقية لهذا اللقاء الحلو ، لكنها أعترضت وهى تقول له بصوت ناعم إنها مضطرة أن تنصرف :

« كنت أود يا أحمد أن أقضى السهرة معك . . ولكن وأنا أتأهب للقائك وصلتنى برقية من « جون » . جون وصل فجأة إلى القاهرة ، وسيقضى فيها الليلة فقط . . إنه سينمائى أمريكى يفكر أن يسند إلى بطولة فيلم تدور حوادثه فى اليابان . . أعطنى رقم تليفونك ، سأتصل بك . . » .

وأدرك وهى تدون رقم التليفون أنها لن تتصل به فقد كتبته وهى عجلى . . لم تحاول التثبت من صحته ، وعندما امتنع الحبر عند تدوين الرقم الأخير لم تكترث .

وأستكبر أن يقول لها إن فى جيبه تذكرتين لن يقدر على شراء مثلهما مرة أخرى .

نظر إلى ساعته بعد أن ذهبت « سهام » . . إنها السادسة والنصف . ماذا يفعل ببقية الوقت الذى وهبه للمغامرة . . لم يبق إلا أن يذهب إلى مكتبه فى الشركة كدأبه كل يوم .

كل موظفى الحسابات انتهزوا فرصة غيابه ، وكأنها فرصة لا تعوض وزاغوا ، إلا « رجاء » سكرتيرته .. يالها من فتاة مخلصة لواجبها .

وكان شعر رجاء منسدلاً على جبينها وهى منحنية على أوراقها . .

وعندما تنبهت إلى قدومه وقفت باحترام وابتسمت وهى شبه شاردة .

وكان يفصل بين حجرته وحجرتها باب متأرجح ، وداس الجرس ، ودخلت « رجاء » وعلى محياها الابتسامة الوديعة التى يعرفها .. إنها ليست جميلة . . كأنها تعتذر بهذه الابتسامة عن خلو وجهها من الفتنة .

وطلب أحمد منها بعض الأوراق .. ورمق قوامها وهى منصرفة . . غصن فتاة فى العشرين . . لم يفعل ذلك من قبل . . دائماً يحترم مكتبه وعمله . . ولكنه لم يعد إلى مكتبه من قبل وفى رأسه كأس الويسكى . . وقال له كأس الويسكى : « غازل رجاء » وعندما جاءت بالأوراق تأملها من أمام ، كما تأملها من خلف .

يا أحمد لا تضيع الفرصة . . اثأر لهزيمة شبرد . . فى جيبك تذكرتان يسيل لهما اللعاب . . ما أجمل أن تراقص هذا الغصن وتحتويه بين ساعديك . . قل أن ترفض فتاة عشاء راقصاً .

وطلب إليها أن تدع الباب بينهما مفتوحاً ، وراقبها وهى منحنية على أوراقها تكتب بيد وخدها متكئ على راحة يدها الأخرى ، وابتسامتها الوديعة تطفو على الجزء الظاهر من وجهها .

كيف يفاتحها . . تردد وجبن ، ثم خف إلى نجدته مثل يقول : فاز باللذة الجسور .

وصمم أن يحرق تردده وصاح فجأة : « ما رأيك يارجاء .. عندى تذكرتان لعشاء راقص ؟ » .

ورفعت خدها عن راحة يدها . . وظهرت بقية الابتسامة . . ابتسامة واسعة تضج بالفرح . . وقالت له وأصابعها على قرص التليفون :

ـ إذاً سمحت لحظة . . سأتصل بالبيت .

وأحس أن رأسه تلف مع قرصْ التليفون . . كما أيقن أن « سهام » لن تلقاه مرة أخرى يوقن الآن أن « رجاء » قبلت الدعوة،وأن الاتصال بالبيت إجراء شكلى . .

ونهض . . وصار خلفها وهى تتأهب للحديث . . بعد أن تضع السماعة سيطبع قبلة فى شعرها . . فاز باللذة الجسور .

وبينما هو يتأهب لذلك فوجئ بها تهتف فى التليفون :

ـ يا صفوت ما رأيك . . عندى تذكرتان لعشاء راقص . . هل تستطيع الحضور الآن لكى نذهب معاً . . إذن أستطيع أن أقبلهما . . هدية . . من رئيسى . . وأنت أيضاً يجب أن تشكره .

وأعطت السماعة لأحمد وهى تقول :

ـ صفوت ابن خالتى . . وخطيبى .

وابتلع أحمد القبلة التى تأهبت على شفتيه وهو يتحدث إلى . . خطيبها.

وفى أثناء ذلك لمحها وهى تحاول إخفاء بعض الأوراق على مكتبها . . مرحى . . إنها ليست كشوفات حسابات .

ورفع الدوسيه عن الورقة التى حاولت أن تخفيها . . وإذا هى رسم كاريكاتورى له .



سيدة فاضلة جداً !

وقالت بارتباك وخجل : « أحببت دائماً أن أرسمك . . مات أبي وأنا طفلة .. ولست أذكر وجهه ، ولكنني دائماً تخيلت أنه كان يشبهك .»

وسكت وهو يفحص الصورة . . إنها أول مرة يرى فيها نفسه فى رسم كاريكاتورى . . شعرات قليلة واقفة فى رأسه . . حقيبة من الدهن تحت ذقنه . . كرة كبيرة منبعجة تحت صدره .

وألقى التذكرتين على المكتب وانصرف متجهماً . . ولكنه صادر الصورة وأخذها معه .

وفى الصباح عندما سبقت رائحة القهوة زوجته إلى حجرة النوم كان ما يزال عابساً . وعندما سألته « فريدة » عن سبب عبوسه أخرج الصورة من حيث كان يخفيها وقال لها : « هل يرضيك أن أرسم هكذا ؟ »

وتأملت الصورة وهو يراقبها . . وأدهشه أن ملامحها تنطق بالرضا . . . وغمغمت بصوت منتعش :

ـ صورة جميلة .

ووجد نفسه يقول :

ـ لو عرفت الثمن الذى دفعته . .

وقاطعته : « لا يهم » . ثم أضافت وهى تردد بصرها بينه وبين الصورة وفى صوتها ارتياح بالغ .

ـ هذا أنت . . أنت بالضبط .

وقبلته فجأة . .

وأيقن بعد القبلة أن الثمن . . لم يكن غالياً . .

سيّدة .. فاضِلة جدًا !



فى قطار حلوان وجدت كتاباً منسيًّا على مقعد . . وفتحته فإذا هو مجموعة من الشعر المنثور . . . الحسان المترفات يتلهين بإبرة التطريز يغرسن بها الزهور فى الحرير ، . . ويبحن لها بما يساورهن من فرح ، ومن هم دفين . . . وكذلك الشعراء ، السعداء منهم والمعذبون فى الأرض ، سن القلم هو لهم إبرة التطريز ، يعينهم على الضجر ، والخذلان ، وينمق لهم الأحلام . . .

وبينما أقلب الصفحات عثرت بجسم غريب . . زهرة جافة ، مضغوطة ومحفوظة بعناية . . وعليها مسحة من جمال يجتذب القلب ، مثلما يجتذبه محيا حسناء شفها السقم ، وخطبها الموت لنفسه .

وابتسمت الزهرة لى ابتسامة ذابلة وهمست :

« إن روحى فاضت منذ زمان ، ولكنها ترفرف — كما ترى — فوق رفاتى . . . فإننى كنت شديدة التعلق بالحياة . . ولا يتبادرن إلى ظنك أن حياتى كانت سعيدة إننا مثلكم نصبو إلى البقاء مهما كابدنا . . أنت تريد أن تغفى بقية ... الطريق إلى حلوان ؟ فلأعفك من حديثى ... »

فأنكرت بشدة أن بى رغبة فى النوم ، ولكن الرقة كانت سجية فيها ، فعرضت على أن تسمر معى وأجفانى مغمضة .

والزهر خيالى بفطرته ، وأفكاره شاعرية . . ومن هنا وجدتنى ميالاً أن أتهم الزهرة بالمبالغة فيما روته لى . . . ولكن الراجح أنها مبالغة يسيرة لم تقصد منها إلا أن « تنثر » قليلا من الملح على الحقيقة كى تكون سائغة . . وسأقص عليكم قصتها ، كما سمعتها منها ، كى تحكموا لها أو عليها .

قالت فى كثير من التواضع :

إننى أعدّ كريمة المحتد . . فقد ولدت وترعرعت فى حديقة قصر ، وكان لى عاشق هو البستانى ، يمر على أوراقى بأنامل خشنة تضطرب حناناً . . ويقطف أخواتى ويسلمها للوصيفات ليضعنها فى الأوانى داخل القصر ، وهو يلح عليهن أن يبقين على ، ويتوسل إلى الله كى تغفل عنى عين سيدة القصر . . . وهى سيدة كان يلذ للخدم والوصيفات والبستانى أن يجتمعوا حول مائدة شائقة هى سيرتها ، ومنهم عرفت عنها الكثير . . . فإنهم أكثر من سواهم إلماماً بالحقائق . . . ولو ترك لهم تدوين التاريخ لتغير الكثير من صفحاته ، وأتيح لنا أن نرى وجهه الصادق .

ولست أدرى كيف أقدمها لك . . . وهل يكفى أن أقول إن وجهها الجميل كله طهر وبراءة . ولكن مهلا . . . لقد ألف الناس أن يحكموا على الشخص من محياه ، وهو عرف ساذج سبب للكثيرين ممن ركنوا إليه أفظع المتاعب ، وهاهى ذى « سميرة هانم » سيدة القصر . . . أو أنك حكمت عليها من ملامحها لقبلت بلا تردد - إن كانت فى يدك مقاليد الأمور - أن تعينها رئيساً للملائكة . . وهى على كل حال تشغل ما يشبه هذا المنصب فى كوكبنا هذا .. فإنها عضو عامل فى أكثر من جمعية

من جمعيات الخير ، التى تنفق الجانب الأكبر من ميزانياتها فى الإعلان عن « تضحيات » . . أعضائها وجهادهن المجيد .

ولنعد « لسميرة هانم » . هل تقدر الأمة السيدة المسكينة ؟ ! .. أبداً.. إن أقل ما يوصف به هذا الشعب . . الجحود . . وهل تريد دليلا على هذا أكبر من أن بعض الألسنة تذكر أن الصورة التى تعطيها « سميرة هانم » للصحف هى صورتها منذ عشرين عاماً . . ياللظلم . . وهل يوجد فارق بين صورتها اليوم وصورتها فى ذلك الأمس . القريب . . . . اللهم إلا بضع تجاعيد لم يمكن « متشو » الحلاق النابغ أحداً من أن يراها أبداً . . وهل هناك ما يقطع بأنها فى مقتبل العمر أكثر من أن أربعة من صفوة الشباب الرياضيين يتنافسون على هواها . . ولولا أنها مولعة بالعفة لأحبتهم معاً . . ولكنها كانت دائماً أرفع من أن تصنع هذا ، ولم تتصل أبداً بأحدهم قبل أن تهجر الآخر . . . مع الحرص المتناهى على أن تجرى الأمور فى الخفاء ، إكراماً لشعور زوجها .

وثق يا سيدى أن الحب ما كان يشغل بالها بقدر ما كان يشغلها التفكير فى إقامة حفلات ناجحة ، باسم الفقراء . . وهى حفلات كان خيرها « يعم » الجميع . . . الشابات الحالمات بالزواج يضفن إلى القائمة أسماء جديدة لامعة .. . والأرامل الحزينات يتسلل الأمل إلى قلوبهن فى حلبة الرقص .

ثم همست الزهرة فى أذنى وكأنها تأتمنى على سر : "هناك نوع آخر من الأرامل ... أولئك اللاتى يعشن مع أزواج سخفاء عيشاً مملا .. إن

الكلب مهما كان مدللا — وحتى لو كان له الحق أن ينام مع الزوجة فى السرير — يعاشرها ثلاثة أعوام، أو خمسة على الأكثر، ثم يشعر أنه صار ثقيلا ويحاول أن يموت، أو على الأقل أن يضيع .. والعصفور اللطيف يلازم الزوجة فى دارها بعض الوقت، ثم يهجر القفص أو يأكله الصقر، والثوب مهما كان قريباً من نفس صاحبته يعيش معها موسماً أو موسمين ثم يبلى . . ولكن هناك نوعاً من الأزواج يتمادى فى الصفاقة وكأنه يريد أن يشارك الزوجة عمرها .. نوعاً لا يموت، ولا يضيع، ولا يأكله الصقر، ولا يشعر أنه شاخ وبلى . . فهل تلام الزوجة إذا هى تاقت إلى شىء من التجديد واستجابت للتوسلات . . . إن « سميرة هانم » نفسها، مع أنها أقسمت ألا تخون زوجها إلا مع الرياضيين الأربعة الشرفاء، لم يطاوعها قلبها عندما ركع « ميتشو » الحلاق الشاب عند قدميها يبكى من اللوعة . . فمنحته شفتيها . . ومع ذلك فقد بذلت له النصح . وأنذرته أنها لن تمكنه من أن يعانقها مرة أخرى . .

إيه . . . إننى حدثتك عن « سميرة هانم » فى سن الخمسين بينما كان قصدى أن أمضى فى القصة من أولها .

فلنعد إلى الوراء ربع قرن فقط . . أيام كانت « الرئيسة » فى ريعان الصبا . إنها كانت فى ذلك الحين عاملة فى محل حلوى تبيع الفطائر الساخنة مصحوبة بابتسامتها الشهية .

وقد استمرأ هذه الابتسامة سياسى كهل، فأكثر من أكل الحلوى . . ولم يكن جهازه الهضمى وحده هو الذى أصيب من جراء هذا بالاضطراب

. . . وهل أدل على ضعف البشر من أن نظرة ناعسة من عين بائعة حلوى تزيد ضغط الدم فى شرايين المخ وتفسد على صمامات القلب عملها ! . . .

والذى يغيظ أن بائعة الحلوى لاتستطيع أن تحدث هذا بزميلها فى العمل ، ولكنها تحدثه برجل سياسى يجب أن تكون أعصابه مضبوطة . . فإن حياة السياسى حافلة بجسام الأمور . . ولأضرب لك أمثلة حتى تؤمن معى بخطره فى الحياة . . إنه إن كان طبيباً فعليه أن يهجر مرضاه . . فقد تكون الوزارة التى يناصرها على فراش الموت وبحاجة إلى حقنة كافور أو عملية نقل دم .. وإن كان محامياً فلا بأس أن يترك موكله المحبوس على ذمة جناية شهراً آخر فى الحبس الاحتياطى ، ولتؤجل قضيته إلى دور مقبل لأنه محام فى المنصورة وقاعة المجلس فى القاهرة بحاجة إليه؛ فإن المعارضة تعده من أحسن « الخوازيق » التى تجلس عليها الوزارة ، ووجوده الليلة قد يرجح كفتها عند أخذ الأصوات ، الأمر الذى يقلب مأتم المعارضة إلى فرح ! . .

واستدركت الزهرة قائلة : لم يكن السياسى الكهل طبيباً ولا محامياً .. ومع ذلك فإنه كان خطيراً . . كان يقدم للصحف بتوقيعه مقالات رنانة يكتبها له سكرتيره . . لضيق وقته ! . . ولولا أمواله لما انطلقت زنابير الحزب لتحدث فى الشوارع طنين « يحيا » « ويسقط » . . . ثم إنه كان يستطيع بسهولة أن ينكب الحزب الذى ينتسب إليه ؛ بانسحابه منه فى أحرج المواقف وانتقاله إلى أحضان المعسكر الآخر طبقاً لخطة مرسومة .

وابتسمت «الزهرة» وهى تقول معتذرة : قاتل الله السياسة .. فقد أبعدتنا عن بائعة الحلوى .. إنها صارت زوجة السياسى المحنك .. ولم يكن الناظر إليها يشك أنها ولدت وفى فمها ملعقة من ذهب .. وفى الحق كان زواجاً موفقاً . . فإن السياسى صار فى وسعه أن يدعو « الأقطاب » إلى بيته فتحسن استقبالهم سيدة لبقة ، تقنع كلا منهم بأنه رجل الساعة ومنقذ البلد ، بالسهولة التى كانت تقنع بها « الزبون » أن يأخذ دستى فطائر بدلا من دستة واحدة .

ولم يقتنع أصدقاء زوجها أنهم عظماء فقط ، بل اقتنعوا أيضاً أنهم فى عنفوان الصبا . . وبحث أصحاب الرءوس التى عاث فيها الشيب عن أصدق صبغة فى السوق . . وصبر أصحاب الرءوس الصلعاء على أدهنة تكسو جلد الرأس وتكويه ، طول الليل ، طمعاً فى استنبات قليل من الشعر . . وتذكر بعضهم أن الرياضة مفيدة ، فتجاهلوا الروماتيزم وبدأوا يتعلمون « التنس » ليزاملوها فى الملعب . . وركبوا الخيل ليرافقوها فى رحلاتها الخلوية . . واستغنى المقرورون منهم عن المعطف وصدار الصوف ، فإن الالتهاب الرئوى خير من أن ترتاب الحسناء فى فتوتهم .

* * *

وحذار أن تظن السوء بسيدتنا ذات الوجه الملائكى .. فإنها لم تبذل شيئاً أكثر من ابتسامتها الشهية ، التى سحرت أحدهم فوضع اسم الزوج العزيز ، عندما كلف بتشكيل الوزارة ، فى رأس القائمة . وحرص أن يأخذ رأيه — ورأيها — فى بقية الزملاء ! . .

وهكذا أصبحت « سميرة هانم » قرينة صاحب معالى . . وسكنت قصراً . . ومن الحق أنها ملأت مركزها ، وصار يضرب بها المثل فى الحشمة والوقار . . وقد تظلم معارفها ، فى ظرف ، من غرامها المفاجئ بالأكمام الطويلة . . وذموا ثياب السهرة التى صارت تخفى أكثر من نصف صدرها . ومع ذلك أصرت على هذا التقشف . ولا أريدك أن تنسى سياسينا المحنك .. أن السكرتير — ذلك الجندى المجهول — الذى كان يكتب لسيده المقالات النارية صار يكتب الخطب الرنانة ، وكانت الزوجة لاتجد من زوجها هذه الفصاحة فى أحاديثه معها ، فأدركت أن فى الأمر سراً . . وكان السكرتير كتوماً ، ولكن « سميرة هانم » ما زالت تتربص به ، حتى ضبطته يضع الشكل على حروف خطبة عنيفة . .

ومنذ فطنت إلى أن السكرتير يملى على زوجها كل تصرفاته ، ويحشو فمه بالكلام ، انتقل إعجابها من الببغاء إلى الملقن . . .

وكان السكرتير يحمل كل مساء حقيبة الأوراق إلى المنزل ، فتستقبله الزوجة فى ثوب غرفتها بالرثاء له ، رثاء يأسر القلب . . ويظلان يسمران معاً فى انتظار وصول الوزير الخطير . . الذى كان يبطئ فى العودة يوماً بعد يوم لانهماكه فى حفر لحد مريح يدفن فيه الوزارة التى يتشرف بعضويتها . . فإن ذلك يدنيه من الرياسة .

وفى انتظار أن يصبح زوجها رئيساً للوزارة ، حاولت « سميرة هانم » أن تقتل الوقت بوضع يدها الغضة بين يدى السكرتير المحترقتين .. ولم يحدث

الانقلاب الذى كان ينشده السياسى المحنك .. ولكن حدث فى البيت إنقلاب من نوع آخر . .

والمصائب لاتأتى فرادى . . . سقطت الوزارة أخيراً ، ولم تقبل الرياسة عليه تجر أذيالها . . وكل ما ظفر به مقعد دائم فى فندق شبرد ، ومنذ أصبح وزيراً متعطلا اشتغل بتصدير واستيراد الإشاعات . . ووهب كل قواه للمؤامرات الحزبية والمناورات والدسائس ، وكان قد بلغ الستين ، فناء تحت عبء الحقد والأرق ... ودمر أعصابه تفكيره المضنى فى القضاء على خصومه . . وذات ليلة فاجأته نوبة حادة وجاء الطبيب الذى فحصه متجهما ، ثم همس فى أذنه بأقصى ما يستطيع أن يتكلف من لطف ، إن حالة قلبه سيئه ، وإن عليه أن يعفى نفسه من واجباته السياسية . . . والزوجية.

وليس أحب للمرء مما يمنعه .

وكانت « سميرة » كبيرة الأمل فى علة القلب . . ولكن الشهور مرت وهو ما يزال على قيد الحياة ، فبدأ صدرها يضيق . .

وفجأة خطر للحسناء خاطر رقيق . . فلتساعده على الرحيل بأن تعشقه عشقاً مبرحاً . فلما حاول أن يذكرها بأوامر الطبيب ، أسكتته بقبلات ملتهبة لاعدد لها وهى تبكى ، فإذا ما سألها عن سر بكائها أجابته لاهثة الأنفاس ، وهى تلف ذراعها حول عنقه ذى الجلد المتهدل ، إنها تذوب شوقاً إلى أن تنجب منه ولداً ، ثم تتلوى كالهرة وتمسح وجهه المكروب بشعرها المعطر وهى قريبة من الإغماء . . فيذكر أيام

شبابه المدبر .. وأنه كان دائماً شهماً ،ولم يكف أبداً عن أن يخف لإغاثة الأنوثة فى محنتها .

وبعد بضعة أسابيع من الإغراء ، والفتنة السوداء ، والهوى المشبوب ، سقط السياسى المحنك ميتاً .

وأضافت الزهرة فى تأثر شديد : أؤكد لك أن صحف الحزب ظهرت مجللة بالسواد تعلن أنه سقط صريعاً فى ساحة الجهاد . . وتطالب بأن يقام له تمثال .

وشاركت صحف الخصوم صحف الأنصار فى الجزع للمصاب الفادح والخسارة الوطنية الكبرى . . . ورثوه بعنف ليقتنعوا أنه مات حقا ، ومشوا فى مأتمه ليستوثقوا أنه لن يعود .

ومن هنا كان مأتمه حافلا مهيباً ، يدل على أن الأمة لاتنسى قدر العاملين . . وكان من أبلغ القول فى رثاء الفقيد ماكتبته زوجته عن موته والقلم فى يده . . وكيف خسر ثروته الطائلة فى خدمة الوطن حتى لم يبق له شىء إلا الشرف . . . أما سكرتيره فقد نثر على القبر كلمات كلها حسرات ... ثم رثاه بمقال ذيله بتوقيع حزين : « تلميذك .. الأمين على مبادئك إلى الأبد » .

ومن الإنصاف للسيدة أن تعرف أنها بكته بحرقة . . ومرات قليلة خطر ببالها أنها هى التى قتلته . . ثم أكد لها السواد الذى يجلل صورته ، والأشرطة الحزينة التى تزين الستائر أنها واهمة.. وإليك الدليل على أن مصيبتها فيه كانت فادحة . . ظلت أسبوعين طويلين بعد الوفاة لاتلتقى بصاحبها

. . ثم وجد صعوبة كبيرة فى إقناعها بأن الذهاب إلى « السينما » وإلى مسرح الريحانى أمور لا تتنافى مع شعائر الحداد .

* * *

وتريثت الزهرة قليلا وكأنما تحاول أن ترتب معلوماتها ثم قالت : مرت الأعوام ولم ينتبه الناس إلى أن التمثال لم يقم . كما لم يتنبهوا إلى أن السكرتير قد ملأ فى تواضع وهدوء مكان الفقيد . . إنه وفاء منه لذكراه قد تزوج أرملته برغم أنها تكبره بأعوام . . وقد شغل أيضاً مكانه فى الحزب ليتمم رسالته .. وهو خير من يتممها ، وخاصة أن حصر تركة الفقيد قد أثبت أنها بخير كبير . . وهو يستطيع كسلفه أن يشترى للحزب أنصاراً . . ويستطيع أيضاً أن يمد جريدة الحزب « بالأوكسجين » كلما أشرفت على الاختناق .

ومع كل هذه المواهب لم يصل إلى كرسى الوزارة . . وا أسفاه .

أرأيت أن الكفاية وحدها لا تكفى للوصول إلى أرفع المناصب . ولقد بذلت الزوجة المخلصة محاولات جبارة كانت تكفى محاولة واحدة منها أن تجعل منه رجلاً سعيد الطالع ، ولكن النحس كان له بالمرصاد .

على أى حال وجد العزاء فى عضوية مجالس إدارة الشركات ، ولا يتبادرن إلى ظنك أنه من العسير أن تكون من رجال المال والأعمال ، وأن من الضرورى أن تكون عالما فى الاقتصاد ، لأنه يكفى ، أحياناً لا دائماً ، أن ترضى بوضع طربوشك على الشماعة ، إلى جانب القبعات ، فى الردهة الموصلة إلى قاعة مجلس الإدارة . فإن لونه

الجذاب يجعل شكلها جميلا وألوانها مريحة للعين .

من هنا اقتنى السكرتير الفاضل . . معذرة . . أقصد المالى الكبير مجموعة من الطرابيش الثمينة . . ولاتنس أن مما ساعده على النجاح أنه كان ملماً إلماماً بديعاً بفن إقامة المآدب .

وفى المآدب تقع أحياناً أمور مسلية ، مثل تصادم الأقدام تحت الموائد ، مصادفة ، بعد النخب الثالث على الأكثر ، وهى لعبة لطيفة تعلمها المالى الكبير من« سميرة هانم » أيام كان سكرتيراً لزوجها . . لعبة عشقها وأصبحت عنده عادة ، حاول عبثاً أن يقلع عنها . وبعد لعبة الأقدام كنت ترى المعجبة تتحدث إلى المالى فيجيبها فى وقار ، وعلى شفتيه ابتسامة رزينة تخيل إليك أنه يتبسط معها فى شرح مشاكل العملة الصعبة . ولايخطر ببالك أن ملاحظات الحسناء تدورة حول الشبه الكبير بين المالى الشاب وبين أحد ممثلى « السينما » الذين لايهابون الأخطار. وكم ضايقه أن تذيع فى بعض الأوساط شهرة شبهه بأحد أبطال « السينما » المخاطرين . تضايق حقاً ، لأن للشهرة أعباءها وتكاليفها . . وحسبك أن تعرف أن أمل الكثيرات قد تعلق به . . وقد أبى عليه ضميره أن يكسر قلوبهن الرقيقة ، ورضى أن تسوء سمعته وأن تغمزه الصحف الرخيصة . . وانه لنوع من الاستشهاد فى سبيل غاية نبيلة.

وقد زكمت تلك السمعة السيئة أنف الزوجة المسكينة ، فهل تلام « سميرة هانم» لأنها حاولت أن تداوى جراحها برعاية الرياضيين ،والتفانى فى إقامة سهرات الجمعيات الخيرية . . صحيح أنها تبنت الرياضيين الأربعة

قبل أن تصدر من زوجها أعمال مريبة ، ولكنها لم تفعل ذلك إلا لبعد نظرها . إن خبرتها بزوجها ساعدتها على التنبؤ بما سيصدر منه . . ثم إنها كانت مسوقة بفكرة استولت على لبها من البداية : إن السكرتير السابق قد خان صديقه فى زوجته ، ويجب أن يدفع هذا السكرتير الخائن الثمن ، وأن يفعل به ما فعل بزوجات الغير . . هذا عدل وحكم صائب من أحكام القدر لا يجب عليها أن تقاومه . .

ثم تنهدت الزهرة وهى تقول بصوت حزين : ولكن هل فى هذه الدنيا وفاء . . إن الرياضيين الأربعة ذهبوا . . الواحد وراء الآخر . . بمنتهى الخسة . .

* * *

وسكتت الزهرة قليلا كأنما لتستريح . ثم استأنفت حديثها قائلة : إن كانت تخامرك شبهة شك فيما رويته لك نقلا عن البستانى والخدم ، فاعلم أن ما بقى من الحديث لاريب فيه ، لأننى كنت قد ولدت ورأيت رأى العين الحوادث وهى تجرى أمامى . . رأيت « سميرة هانم » تمشى وحدها فى الحديقة ، فى الليالى المقمرة ، مهجورة مقهورة تفكر فى الرياضيين الأنذال بمنتهى السخط والتقزز . . وتضرب البستانى بمقدمة الحذاء فى بطنه لأنها تجد فى عشب الحديقة ، كلما تمرغت عليه ، نملا فارسيًّا . .

وفى إحدى تلك الليالى الموحشة تذكرت أنها لم تر « ميتشو » منذ عام ، فقد ترك معهد التجميل الذى كان يعمل به إلى حيث لاتعلم . . ولكنها

الليلة تريد أن تعلم . . فإن وجهه الوسيم يخايلها ، وكأنه أحد آلهة الإغريق القدماء . .

ونادت سائق سيارتها ، وحذرته أن يريها وجهه قبل إن يجد « ميتشو » فإنها لم تعد تطيق أن تأتمن حلاقاً آخر على شعرها .

ومع أنه وجده بسهولة فقد غاب ثلاثة أيام ، وادعى أنه أحرق عدة صفائح من البنزين قبل أن يهتدى إلى « ميتشو » . . وصدقته ، فإن السيدة الفاضلة ، ذات الوجه الملائكي ، لاتعرف أن هناك رذيلة فى الدنيا اسمها . . تزوير الحقيقة !

وتلك الأيام الثلاثة المفعمة بالترقب والانتظار ارتقت بالإله الإغريقى من درب سعادة حيث يقيم إلى السماء السابعة ، فلما علمت بوصوله تركته ينتظر ريثما تدارى اضطرابها ، ومع أنه مفروض أنه مبعوث معهد التجميل ، وأنه آت للقيام بمهمته ، استقبلته بتسريحة مبتكرة ووجه منمق يعجز « ميتشو » نفسه عن تبين تجاعيده . .

وصدمها أنه فاتر .. وأن حمرة الخجل لاترقص فى خديه كيوم ركع عند قدميها .. فتلطفت معه فى الحديث وهو يأخذ شعرها الناعم بين يديه ليعيد تنسيقه ، وحاولت جهدها أن تذهب وحشته . . وتأبطت ذراعه . . وخرجت معه إلى الحديقة ، فتبخر منها البستانى ، فإنه كان أحصف من أن يظهر حين لاتكون هناك شكوى من وجود النمل فى الأعشاب .

وأضافت الزهرة وهى تتنهد : وكانت السيدة قد تأملتنى طويلا فى الصباح . فلما طاف بصرها بالأزهار القريبة من النافورة ، وهى تتأبط ذراع

« ميتشو » خفق قلبي وكدت أصرخ مستنجدة وأناملها القاتلة تمتد إلى وتقطفني . . وشغلني عن الألم الذى ينزف من جرحى حديثها العذب وهى تهديني له وتهمس بلطف ودلال : « هذه الزهرة البيضاء رمز لما أكنه لك من حب نقى » .

وأخذني « ميتشو » بين أنامله وقبلني . . وشعرت أنها تغار مني . . وكانت تلك أول مرة ألمس فيها عن قرب غيرة النساء . . إنها محرقة كنار جهنم .

وواصلت «سميرة هانم» حديثها بصوت يتذبذب بين الأمر ، والاستجداء . . قالت له : لا أريدك بعد اليوم أن تكون حلاقا . . إنى لم أضع فى جيبك بقشيشاً كما تتوهم . . إنه مبلغ يكفيك أن تعيش أعواماً عيشة أولاد الذوات . . إليك مفتاح شقة مفروشة فى أفخم عمارة أملكها . . فإنك منذ الليلة ابنى . . ولا أريد أن يعيش ابنى المدلل فى حى وضيع . . وسأمر بك مرات قليلة كل أسبوع لأطمئن على أنك راض سعيد لاينقصك شيء .

فقبل يدها شاكراً ، مع أن فمها كان الأقرب إليه ! وكادت السيدة الحانقة تضربه بمقدمة الحذاء ، فى بطنه ، لولا أن عقلها الراجح اعتذر له بأنه ما يزال حديث عهد بالبنوة . . والأمومة .

واستأذن فى الانصراف . . ورأيته ، وأنا ما أزال فى يده ، يكاد يعدو فى الطريق . . ثم زال عجبي عندما تبينت أنه كان على موعد مع فتاة من بنى جنسه فى مشرب لبن .

وكانت « ليديا » فتاة تفوقني نضارة وجمالا . . لم تقطفها يد بعد وما تزال تميل ، مسكرة العبير . فوق غصن شبابها . وكان جليًّا أنها ما تزال طالبة ، فإن كتبها كانت تحت ذراعها ، واستقبلته منفعلة يكاد الدمع يطفر من عينيها لأنه أبطأ وتركها تنتظر . . وليس أكذب من النساء إلا الرجال . . فقد زعم لها أنه كان يمسح دموع سيدة مسكينة . تعزه كثيراً لأنه يشبه ابنها الميت شبهاً قويًّا . . وقد فاضت عواطفها الليلة فنحته شقة ستكون مأوى لهما بدلا من هذا العذاب في المشارب العامة .

ثم أضاف وهو يرمقها بشغف : « إن الذى أخرنى أكثر أننى تعبت وأنا أبحث فى حديقة الأم الحزينة عن أجمل زهرة كى أقدمها لك وأخذتنى « ليديا » بين أناملها فى فرح طاهر وعوضنى حنانها . وأنا بين يديها . حنان البستانى . . وعندما عادت إلى مسكنها فى حلوان ، وخلت بنفسها فى حجرتها ، وضعتنى فى كأس قريباً من فراشها ، وذكرتنى فى صلاتها . وتوسلت إلى الله أن يحفظنى من الذبول ! . .

وحاولت من أجلها أن أعيش ما استطعت . . ولكن روحى كانت تفيض يوماً بعد يوم . . وأدركت أننى سأعجز بعد قليل عن الاستماع إليها وهى تصف لى حبها « لميتشو » وحب « ميتشو » لها .

وكان صادقاً حقًّا فى حبه ومشغولا به ، فنسى « سميرة هانم » . . ومضت الشهور وهو يروغ منها .

وقد تسألني أنى لى العلم بهذا . . وهل ظللت كل هذا الوقت حية . . ؟ فاعلم

أن « ليديا » عندما رأتني أشحب شحوب الموت، وأنني أريد أن أستريح، أرقدتني بين صفحتي كتاب للشعر المنثور، وسقت بدمعها ما يبس من أطرافي، فجدت بآخر أنفاسي وأنا سعيدة بقربي من شفتيها الورديتين، ولكن روحي لم تقو على فراقها.. ولم تنضم إلى عطر الله السابح فوق الحدائق والحقول، فكنت أهيم هنا وهناك ثم أعود فأحلق فوق رفاتي.

وروحي الهائمة هي التي رأت السيدة تبحث كالمجنونة عن « ميتشو » وتطرق باب شقته الفخمة ولا مجيب..

وأخيراً أقنع « ميتشو » « ليديا » بأن تزور شقته الفخمة. وبعد تردد طويل ذهبت، وفي يدها كتاب الشعر المنثور.

وشاءت الأقدار أن تمر سيارة السيدة بالشارع، وأن ترى نور « ميتشو » مضاء، فأسرعت إلى المصعد.. وفتح « ميتشو » الباب وهو يظن أن بواب العمارة جاءه بالمرطبات التي طلبها.. وإذا هي « سميرة هانم »..

والتقطت عينها أول ما التقطت دبلة الخطبة في أصبعه، ووشماً أحمر جميلاً في شكل شفتين على خده الأسيل.

ورأت « ليديا » نظرة « الأم الروحية » وهي تتسمر على خد « ميتشو » في مكان الوشم. فكادت تذوب خجلا.. والتقطت كتاب الشعر المنثور وهرولت مستأذنة.. وركبت القطار إلى حلوان حيث تقيم.. وكان الخجل ما يزال يعذبها.. فنسيت كتاب الشعر المنثور فوق مقعد القطار، ونسيتني.. كما ترى.

ولأن روحى الطليقة تستطيع أن تكون حيث تريد فقد شاهدت الأزمة التى حدثت بين « سميرة هانم » والإله الإغريقى. لقد اتهمته بالجحود والعقوق . . وسألته حانقة كيف جاز له أن يخطب دون أن يستأذنها . . وكيف سمح لنفسه أن يأتى بهذه الفتاة المستهترة إلى بيت لايملك فيه قشة ، فلم يحتمل « ميتشو » التقريع ، ووضع بين يديها مفتاح الشقة ، وأعلنها فى قحة أنه حر يخطب من يشاء ويحب من يشاء . .

وعندما عادت إلى مخدعها سارعت إلى هدم التسريحة التى ابتكرها لها « ميتشو» لتقطع آخر ما يربطها به .. وبصقت فى احتقار . . وهى تتذكر أن كل من غمرتهم بأنعمها قلبوا لها ظهر المجن ، وعضوا اليد التى امتدت إليهم بالإحسان . . حتى زوجها الذى كان سكرتيراً أجيراً فقفزت به ، ووضعته فى مكان سيده ، يبلغ به الصغار أن تضبط فى جيبه صورة فتاة لاتتجاوز السابعة عشرة ، يزعم بصفاقة أنه تبناها روحياً .

يالها من دنيا دنيئة وأرض خبيثة لايثمر فيها المعروف . .

وأوت إلى فراشها البارد مقرورة ترتعد . . وأخفت نفسها تحت الأغطية كأنما لتختفى وتحتجب عن كل هذه النذالات التى تحيط بها .

وأضافت الزهرة فى ألم ورثاء « وأنا آتية من عندها الآن . . كم تمزق قلبى وأنا أراها تتلوى . . وتزفر . . وتبكى . . »

* * *

ووصل القطار إلى حلوان . . وهمست الزهرة فى أذنى : « اصنع معى معروفاً واجمعنى بليديا » .

وإنها لمهمة شاقة فإن حلوان ضاحية كبيرة .

ولكنى أرجو ، على أى حال ، من يعرف « ليديا » أن يتفضل ويبلغها أن زهرتها التائهة تبحث عنها .



الرغيف القاتل !



ساقته من الصعيد ريح مشئومة . . جريمة قتل ارتكبها شقيقه . . وذهب الشقيق إلى « اللبان » . . وبقى الثأر معلقاً على رأس « عبد الجليل » .

وقالت له أمه المعذبة : « دمك مطلوب هنا يا بنى . . القاهرة مدينة كبيرة ، فيها الناس كالنمل . . هناك نختفى عن أعين الانتقام وننسى ، ولا أفجع فيك فى آخر أيامى » .

هكذا جاء عبد الجليل من « البدارى » إلى القاهرة . . التى سمع أنها تعطى عملا لكل متعطل . . يالها من أكذوبة . . إن أيام البطالة التهمت المال الضئيل الذى كان يدخره . . وآخر « عملة » فى جيبه اشترى بها نصف رغيف . . حمله إلى أمه . . وقال لها إنه أكل فى المطعم حتى التخمة .

قال لها ذلك والجوع يفرى أمعاءه . . وترك الحجرة التى يقيمان فيها وهو يتغنى بموال وبأكذوبة . . إنه سيقابل رجلا وعده بعمل . . وكانت الأكذوبة فى ذات الوقت أملا . . أملا مضى عليه وقت طويل وهو يتعثر فى شباك الفشل .

وأحس وهو ينظر إلى مصابيح الطريق بالخوف من الحياة يملأ قلبه . وكان يجر ساقيه . . وحانت منه التفاتة إلى مقهى مزدحم من مقاهى العمال فدخله وتهالك فى مقعد . .

وكان الزبائن يصفقون استعجالا فى طلب الشاى والحلبة والجنزبيل

والساقى عاجز عن تلبية نداءاتهم المتلاحقة . فحمد الله على أن أحداً لم يسأله ماذا يشرب . . ولن يحاسبه على النظرة الظامئة التى يرقب بها وعاء النحاس الأصفر فى ركن المقهى ، يسيل من صنبوره الجميل ليملأ الأكواب ، عصير الخروب ، ذهبى اللون .

وهربت نظراته من المقهى وقد تحلب ريقه وتصبب وجهه عرقاً . غير أن المشهد الذى رآه عبر الشارع الضيق كان أوجع وأشد إيلاماً . . فقد كان بائع الفول يقف فى واجهة الدكان على منصة عالية ، والقدر أمامه يتصاعد منها بخار أخاذ ، ومن حولها الغلمان والبنات يرفعون الأطباق مختلفة أشكالها كأنها أكف مرفوعة بالتضرعات إلى إله .

وكان « فتحى » بائع الفول شاباً متواضعاً .. لم يكن يعتقد أنه إله ، ولكنه كان يرجح أنه سلطان .

ومال المسكين برأسه على المنضدة ليخفى وجهه بين ذراعيه ولكنه لمح فى تلك اللحظة بلدياته حمدان واندفع يناديه .. فى لهفة .

* * *

وقال « حمدان » لـ « عبد الجليل » وهما يمشيان من عابدين إلى الضاهر : « إننا نهدم بيتاً قديماً على نور الكلوبات . المعلم صميدة المقاول مستعجل وسنعمل ليل نهار .. مالك تمشى كالنائم .. ؟ » .

واستحى « عبد الجليل » أن يقول لصاحبه إنه جائع . . فليصبر حتى ينال أجره . . الفرج الآن قريب .

وأخرج « حمدان » من جيب صداره العربى ذى الخمسين زراراً علبة (السجائر) وقدم واحدة لصاحبه وهو يقول : « أنا رئيس الأنفار..

وكان المقاول يستخدم أنفاره من «درنكة» .. ولكنه طردهم .. طلبوا زيادة في اليومية وقالوا : إن العمل بالليل خطر » .

وشعر « عبد الجليل » بقشعريرة وكلمة « درنكة » تستقر في أذنه .. إنهم ليسوا أقل من أبناء البدارى بأساً .. هم مثلهم يفطرون بالرصاص ويتعشون بالبارود . وهنا لك منافسة على الرزق فلابد من معركة .. إنه هجر بلدته هرباً من الموت .. ولكن يظهر أن الموت في كل مكان .

وشعر «حمدان» أن صدر صاحبه قد انقبض فقال له مشجعاً : « إذا تعرضوا لنا فسنأكلهم .. »

وغمغم « عبد الجليل » ببلادة : « نعم سنأكلهم » .

وعلى مقربة من البيت المتهدم رأى «عبد الجليل» بعض الأنفار من درنكة يعترضون الطريق .. وقال واحد منهم وفي صوته صليل السلاح وهو يمضغ الطباق : « لو كانوا رجالا لوقفوا معنا يداً واحدة وطلبوا زيادة الأجر » .

وبصق عند قدمى « عبد الجليل » بصقة صفراء من التبغ والغيظ . وتظاهر « عبد الجليل » بأنه لم يسمع ولم يفهم شيئاً .. واستمر في سيره .. ولكنه أحس أن البصقة سقطت على وجهه . وأنه يستحقها . وود لو يعود أدراجه . ولاينتزع من الآخرين عملهم . ولكن الجوع الذى كان يكويه ويضنيه رده إلى صوابه .

وفي هذه اللحظة جاء المقاول ، المعلم صميدة ، وصاح في العمال المطرودين « لماذا تقفون هنا .. ؟ فارقونا .. انتهت بيننا المعاملة » .

وأجابه ما ضغ الطباق متحدياً وهو يبصق بصقة أخرى : « إننا نقف فى شارع الحكومة » .

كان المعلم صميدة المقاول سليطاً . لكنه لم يكن شجاعاً . ولذلك فإنه أجاب على التحدى بشتيمة غير مسموعة . وانصرف إلى الصباح فى « حمدان » قائلا : « أفهم أنفارك أن من يطلب زيادة مصيره الطرد كهؤلاء العمد » .

ونظر « عبد الجليل » إلى المعلم صميدة وهو يأمر وينهى . .
وأحس أنه رجل لم يجع فى حياته ابداً . . كان الحزام الحريرى الذى يمسك القفطان معقوداً على بطن ضخم . وكان له خدان كأنهما يقطران دسماً . . وكانت شفته السفلى تتدلى مثقلة بالشراهة والشراسة ، تحت أنف قبيح أفطس ، وجبهة تشبه ثمرة ضخمة غير منتظمة الشكل من ثمار القلقاس لم تذهب عنها سمرة الطين الذى ارتطمت به فى نشأتها . . . وكان يقبع فوق هذه الثمرة السوداء طربوش فاقع اللون .. وأسنانه الصفراء كانت متشابكة كأنها فى عراك .

وجعل المعلم صميدة يبرطم لنفسه وهو يتمشى أمام البيت المهدم : « شارع الحكومة .. يتجرأ ويقول لى شارع الحكومة .مصائب آخر زمن .. بلاوى . »

كان جلياً أن الجملة حزت فى نفسه جداً . . إنه لم يتعود أن يرفع أجير حقير صوته فى حضرته . . لقد نسى منذ زمن بعيد أنه كان عاملا يرفع مقطف الجير على كتفه .

وأحب المعلم صميدة أن يهدئ أعصابه فطلب « كرسى دخان » وجلس يشد « الجوزة » ويراقب العمال . . كانوا يتسلقون « الجدران » المتداعية بعضهم فى مرح القردة . وبعضهم فى استسلام العبيد .

وعلى صوت الفؤوس وهى تطعن الجدران استغرق المعلم صميدة فى التفكير ، إن عليه أن يسوى هذا البيت بالأرض هدماً ، فى أسرع وقت ، لأن المالك يريد أن ينشئ على الأرض عمارة جديدة ويتخلص من الإيجار القديم الذى أورثه المرض .

وسأل المعلم صميدة نفسه للمرة الألف عن أرباحه من عملية الهدم وبيع الأنقاض . إن الرغيف الذى ينتظره هو ربحه الذى يزيد لو قل عدد العمال وقل أجرهم . . ومن أجل ذلك جاء « بالكلوبات » ليعمل فى الليل . .

وصاح «عبد الجليل» وهو يترنح من الإجهاد: «يامعلم.. النور ضعيف نريد « كلوبا » آخر ، فصرخ المقاول حانقاً : « الأعمى يرينى عرض اكتافه .. الأعمى يفارقنى . إلى شارع الحكومة » .

وسكت « عبد الجليل » وسقط قلبه . . وعاد المعلم صميدة إلى مستنقع الأرقام . . بكم يبيع الخشب . . وبكم يبيع الأحجار ؟

وأكد له رقص فقاعات الهواء فى الجوزة أنه سيشترى فداناً آخر فى البلد . . ثم شىء آخر يريد أن يحققه وهو التخلص من غريمه « عرفات » . . . سيخصص خمسين جنيها لقتله .

وبعد ذلك يعاشر زوجته « أم عباس » كما يحلو له .

وابتسم صميدة .. وظن العامل الذى كان ينفض الرماد عن فحم الجوزة أن المعلم يبتسم له . فابتسم أيضاً وقد أسعده تواضع سيده . . .

ولكن صميدة لم يره لأنه كان يرى أم عباس التى تقيم فى « بدروم » بيته فى القللى مع زوجها عرفات .

كان يعجبه فيها أنها سمينة كالإوزة . . وأن لها رنة قبقاب تستهوى الفؤاد حينما تخرج إلى الشارع لتلتقط « عباس » الذى تعلم أن يحبو.. وكانت ترقص حاجبيها وهى تتحدث إليه وتسأله عن صحته يسكر جوارحه .. وطالما اصطدم بها وراء باب الطريق وهو عائد فى الليل . . وكانت تبعد فى دلال يديه المحمومتين وهما تتحسسان لحمها . . وعندما كان يندفع وراءها إلى مسكنها محاولا انتهاز الفرصة كانت تغلق الباب فى وجهه فى تمنع حلو ، وتهمس واللادن « يطرقع » بين أسنانها « لا . عرفات يمكن يطب . . عرفات صعب » .

وكان اسم عرفات كافياً ليرد المعلم صميدة إلى الصواب .. فقد كان له سبع سوابق كلها اعتداء على رقاب البشر برقاب الزجاجات المحطمة . . وهو يحترف الآن حراسة صالات الرقص وإلقاء البعض إلى الخارج واجتذاب البعض إلى الداخل .

وكان مولعاً بأم عباس زوجته . . وقد تعرف بها وهو يعربد فى أحد الشوارع الخلفية ، وتردد عليها مع المترددين . ولما أغلقت الحكومة الشوارع الخلفية ولم يكن بد من التوبة تابت على يديه .. وجاءت لتعيش معه . .

ولاشك أنها امرأة مدربة وشهية ولكن هذا الإخلاص لعرفات يضايقه.. كره المعلم صميدة عرفات لهذا السبب، ولسبب آخر .. أن البلطجى لم يفكر أبداً فى دفع إيجار البدروم.. باعتبار أنه حامى الحى.. وكان صميدة يسمى هذا سلباً .. لكنه لم يجرؤ على الكلام ، وأقنع نفسه أنه يتسامح من أجل النهدين الممتلئين اللذين يصادفهما فى الظلام وراء باب الطريق.

وقال صميدة لنفسه وهو يجذب نفساً عميقاً من الجوزة : إن دفع خمسين جنيهاً ثمنا لرأس هذا الكلب عملية اقتصادية من كل الوجوه . وشعر بأن تفكيره صار ممتعاً . وأن أم عباس بين أحضانه . فابتسم من جديد ودس أصابعه فى طيات الحزام الحريرى المعقود على بطنه الضخم .. وأخرج قطعة حشيش فى حجم الحمصة وضعها فى شغف تحت لسانه . وطلب من الأبله الذى « يخدّم » على الشيشة ويظن أن الابتسامات له أن يأتيه « بكنكة » قهوة سادة .

وتذكر وهو يرشف القهوة . أن أرباح هذه المقاولة هى التى ستحقق له خططه فصرخ فى العمال : كل لوح خشب .. كل قالب طوب .. لازم ينزل سليم .. من يكسر شيئاً .. إلى شارع الحكومة ! ..

ووصل التهديد إلى سمع « عبد الجليل » الذى كان يحلم بالأجر . وبالخبز الذى سيحمله إلى أمه .. وكان يرى موضع قدميه بصعوبة لأن نور « الكلوبات » القريب منه بدأ يختنق .. وأحس بالتعب .. وأن رأسه يتورم وينتفخ من الصداع ويوشك أن ينفجر . ووصل إلى

سمعه حديث زملائه الذين يعملون إلى جواره كأنه آت من واد بعيد . وملأ الحزن قلبه .. إنهم يتحدثون عن المعركة المقبلة بين البدارى ودرنكة . ويتأهبون لها . . وسخر من جديد بن نفسه عبثاً ترك البدارى والانتقام الذى يلاحقه . . إنه هرب لأنه على موعد مع الموت هنا . . إن جنبه لايؤلمه من الجوع بل من طعنة خنجر . . إنه سيأكل خبزه مغموساً فى الدم .

وكانت هواجسه قد شلت يده عن العمل . . وجلس فاغراً فاه على قطعة خشب معلقة فى الفضاء، فى الطابق الثالث . . وفى هذه اللحظة أمسكت عينا المعلم صميدة بالنذل الذى يسرقه ويريد أن يقبض الأجر دون أن يعمل ، وصرخ فى غضب الضبع المسعور انزل ياحرامى . . أنا لا أريد لصوصاً . . إلى شارع الحكومة .

وسقطت الصيحة فى قلب عبد الجليل . وفقد توازنه . . وفى اللحظة الأخيرة تشبثت يداه بحجر كبير . . غير أن الحجر الضخم كان يريد أيضاً أن يترك مكانه .. فسقط من حالق مع « عبد الجليل » .. وعندما وصلا معاً كان الحجر قد سحق صدره .

وهبط قطيع القرود والعبيد عن الجدران التى يتسلقونها . ورفعوا الحجر عن صدر زميلهم . . وكان يئن أنيناً خافتاً .. كان يردد كلمات ضعيفة رقيقة . يبدو أنها أسهل وأحلى الكلمات للشفاه الذابلة .. كان يهمس وفى همسه توسل : « أمى .. أمى » .

وأسرع « جمدان » بجرعة ماء من القلة المكسورة ليرطب بها الشفتين

الذابلتين ولكن الماء بقى فى فم «عبد الجليل» .. إنه لم يعد بحاجة إليه .. إلى الأبد .

ووصل أبناء درنكة الذين كانوا يتربصون فى أول الشارع . ووقفوا على رأس الفقيد وقد أنساهم الموت الحقد والخصام .

وحل أحدهم المنديل المترب الذى يعصب به رأسه وغطى وجه «عبد الجليل» .

وبكوا . . بكوا جميعاً وقد ألف الموت بين قلوبهم .. بكوا بعيون جافة مثقلة أهدابها بالغبار والشقاء .. وأصواتهم كانت مبللة بنحيب غريب .. بكآبة ثقيلة ... تشبه كآبة الذئب المريض الذى يعوى بخشونة ويشكو ألمه لليل الموحش والغابة المظلمة الصماء ، كان كل أجير يحس أن الجثة المسجاة هى جثته ويرى عويل عشيرته على رأسه . . وحرمانهم من الخبز الذى كان يكسبه بعرق الجبين .

* * *

وكانت حمصة الحشيش قد ذابت الآن تحت لسان المعلم صميدة تماماً .. وبدأ يحس بدوار لطيف .. ومنذ ربع ساعة وهو يحاول أن يتكلم ويتدخل فى الموقف . . ولكنه كان مقتنعاً أن صوته يخرج من فمه وله قوام منظور وملموس كقوام الحبل . . وهذا الحبل لكى يمتد إلى العمال ويصل إليهم يحتاج إلى وقت . . والآن وصل الحبل إلى حيث يريد له . . ووجد المعلم صميدة نفسه يصيح : تبكون كالنساء . . تريدون أن تموتوا فى البيوت كالنعاج . . هذا أمر الله .

وردد العمال فى بلاهة واستسلام : «انعم إنه أمر الله . . أمر الله»

وصاح صاحب الحبل الممدود وهو يناول « حمدان » خمسة جنيهات:
« اشتر الكفن وقم بالواجب .. وسنتقابل فى الصباح عند باب المشرحة.. »

وانصرف مشيعاً بالدعاء الحار . وقد أطربه بالثناء على أريحيته . . انصرف مرتاح البال . . فقد كان يعرف أن موت « عبد الجليل » لاضرر منه . إن أحد الضباط سيأتى ويحرر محضراً . يختمه بإهداء تحياته إلى حضرة المحترم القضاء والقدر . . وقالت له الحمصة التى ذابت تحت لسانه وصارت الآن فى تلافيف مخه . لماذا يغضب « عبد الجليل » .. إن الحكومة ستحتفل بجنازته . ستخرج من المبانى الأميرية . . من المشرحة .. لامن زقاق .. ويالها من « خرجة » مشرفة .

وابتسم ملاطفاً نفسه .. غير أنه لم يلبث أن عبس . . فقد تذكر أن العمل قد يقف أياماً . . وقد يضطر إلى أن يدفع عشرة أو عشرين جنيهاً لأهل « عبد الجليل » إن كان له أهل.. وبدأ يتضايق.. وصور له الحشيش أن هذه الأفكار التى تضايقه ذباب كبير الحجم يحط على وجهه فضى يهشه .. ودس يده من جديد فى تلافيف الحزام .. وعادت أصابعه بحمصة جديدة استقرت تحت لسانه .

وعندما وصل إلى القللى ، كان العمال الذين رآهم ينتحبون قد تحولوا فى خياله إلى ذباب . وقال لنفسه بصوت مسموع : حجر قتل ذبابة .. لماذا أدفع ثمناً لها عشرين جنيهاً . . سنين سوداء .. حتى الذباب ارتفع سعره .

وأعجبه صوته فضحك بصوت مسموع . وجاء عسكرى الدورية فى أثر القهقهة .. وصافح المقاول المعروف باحترام .. ودس المعلم صميدة أصابعه مرة أخرى فى تلافيف الحزام ، وأعطى العسكرى حمصة وهو يقول : خذ اضحك أنت أيضاً . ووقفا يتناقشان وعسكرى الدورية يشم الحمصة بأنف خبير . . وانطلقا يتناقشان عن الصنف . .

* * *

وفى تلك اللحظة كان عرفات يناقش زوجه أم عباس مناقشة غريبة . . كان يقول لها فى سخط : هذا الخنزير المعلم صميدة لم يفكر أبداً فى أن يغمزنى ببضعة جنيهات . . كأنه لا يعرف أنى أحميه . . وأن وجودى يمنع الثعالب من دخول الحارة .

وأجابت أم عباس بلهجة نصفها نفاق ونصفها تصديق : « نعم إنه خنزير . . خنزير سمين » .

وقال عرفات بعد تفكير وهو يبرى رأس عصاه بسكينه الحادة « انتظريه وراء الباب » .

وتجاهل نظرة الدهشة التى ومضت فى عينيها وأكمل قائلا : « اعزميه ليدخل عندك كأنى غائب . . وأنا متأكد أنه قذر . . وسيقبل الدعوة . وسأصل فى الوقت المناسب ؛ إن محفظته الضخمة تكوّن ثدياً آخر فوق ثديه الكبير . . وسيرضى بفصل هذا الثدى بدلا من فصل عنقه .

فوجئت أم عباس . . وساءها الأمر . . وهمت أن تعترض ولكن ضحك صميدة لنفسه وهو يقترب من الباب وصل إلى أذنها . . وبريق

السكين فى يد عرفات وصل إلى عينيها .. كانت تعرف أن لافائدة من مقاومة عرفات إذا أراد شيئاً . . فاتجهت فى صمت إلى باب الطريق واستقبلت الرجل الطروب .

وفى هذه المرة لم تغلق فى وجه صميدة باب مخدعها .

وقال العاشق الظافر وهو يتجرد فى حماسة من بعض ثيابه « ياماكرة ؛ إنك تركتنى أنضج جيداً على النار » .

وقالت فى ذعر : « لاتفعل . . عرفات صعب . »

وأطلق ضحكة ساخرة « عرفات ذبابة ثمنها خمسون جنيهاً . . ما أغلى ثمن الذباب »

وأهاب بها وكأنه رجل حكيم مولع بالحذر وهو يخلع حذاءه . لاترفعى فى صوتك لئلا يستيقظ الولد ويعكر علينا » .

واندفع محاولا أن يعانقها .. ولما قاومت صاح وهو يلهث : سنة كاملة وأنا لا أعرف تحت قميصك شيئاً غير هاتين الرمانتين .. سنة كاملة . . وأنا أطلب المزيد وأنت تخوفينى بعرفات .

وصرخ عرفات وهو يثب من مخبئه .

وصرخت المرأة وقد أدركت أنها سقطت فى كمين .

لو أن الثعابين تضحك لكانت تشبه عرفات وهو يضحك ويقول : « منذ شهور وأنا أشك .. وقد أوقعتك فى الفخ .. كنت أعرف أن لسانه سينزلق فى الكلام قبل أن تنجحى فى تحذيره . »

وكانت أم عباس مدربة على النجاة من المآزق . . وكانت تراقب

حركة السكين فى يد عرفات . . وفى اللحظة الحاسمة وثبت من النافذة . . ولم يكن بحاجة إلى أن يتبعها واتجهت السكين إلى الرجل العارى وعرفات يزمجر : « أنا سبع ولا تشرب من حوضى الخنازير . »

وضحك المعلم صميدة وكأن عسكرى الدورية هو الذى يحدثه . . إن الرعب وحبات الحمص التى ذابت فى ذاكرته تضامنت فى أن تظفر له بسلام عجيب . . وحتى محاولته فى أن يرفع جسمه ويقف أخفقت . . وشعر أنه استحال إلى مخلوق مكون من الرمل والنمل والثلج .

وعندما ذبحه عرفات لم يتألم كثيراً . فإنه كان فى شبه غيبوبة .

وخرج عرفات إلى الطريق يهز فى يده السكين الحمراء . خرج يبحث عن عسكرى الدورية الذى كان مستنداً إلى جدار ينعم بتعسيلة ويثنى على كرم المعلم .

وصرخ عرفات فى أذن الشرطى ، فاستيقظ مذعوراً متضايقاً وهو يظن أنها مظاهرة عليه أن يفضها . . ليتها مظاهرة . . إنها سكين تهتز تحت أنفه وقاتل يصيح فى وجهه : « أنا سبع ولاتشرب من حوضى الخنازير » .

وهكذا لم يخل المعلم صميدة بوعده . . أن يذهب إلى المشرحة فى الصباح . . وجمعت معجزة سهلة الظالم والمظلوم .

وشاءت المعجزة أن يفحص أحشاء العبد والسيد مشرط واحد وطبيب واحد لم يخطر بباله أن البلادة البادية على وجه صميدة تقول : « إن سعر الذباب ارتفع كثيراً فى هذا الزمان الأسود » . ولا أدرك

أن الابتسامة المرتسمة على شفتى « عبد الجليل » تنادى : « أمى . . أمى . . إننى نجوت من الموت برصاص أصحاب الثأر ونجوت من الموت جوعاً . ونجوت من انتقام العمال المطرودين . . سامحينى . . . بذلت كل ما فى وسعى كى لا أتركك » .

وجلس أبناء درنكة والبدارى فى مأتم مشترك يتقبلون العزاء .

وقال « حمدان » وهو يخفض رأسه كمذنب : « الموت أرسلنى لآخذه من القهوة . . ليتنى لم أقابله » .

وسقط صوته فى بلحة الصمت . . كان الباقون واجمين . . يخيم عليهم طائر الحزن . . كل أجير منهم كان يشعر أنه « عبد الجليل » . . . . وأنه يتقبل العزاء . . فى نفسه .





أربعة ذئاب.. ونعجة!



كانوا أربعة : حضرة العمدة ، « والميتر » ، والشيخ قابيل ، ورأفت أفندى .

أما حضرة العمدة فهو حضرة العمدة وكفى . . إنه لايرضيه منك أن تناديه بياعمدة فقط ، أو بياحضرة ، فقط ، إن موسيقاه الشجية هى « ياحضرة العمدة » ، إن ناديته بها فأنت صديقه وصغيره ، وإن أغفلته أحد شقيها فى مخاطبتك معه فأنت خصمه وغريمه . .

وهو بعد عمدة « كفر شحاتة » ، وهى قرية على النيل نصف خفرائها لصوص ، ونصف أعيانها مفلسون ، ونصف نسائها آثمات ، ونصف تجارها غشاشون ، ونصف محصولها للدودة وأخواتها من الآفات الزراعية ..

أما « الميتر » فهو محامى حضرة العمدة وهو أيضاً من عباد الألقاب . والنداء المحبب لديه «ياميتر » . . إن قلت له يا أستاذ ، أو ياحضرة «الأفوكاتو» أو ياحضرة القانونى الضليع ، أو ياحضرة الفاضل ، لم تبلغ من نفسه ما تبلغه منها حين تنغم له كلمة « ياميتر » . هى وحدها التى تجعله يهش ويبش ، ويقبل ويصغى ، ويفحص القضية بهمة وذمة . ويتساهل فى « الأتعاب » أيضاً . . .

أما الشيخ قابيل فهو شيخ بلد « كفر شحاتة » . وهو رجل نحيل مفعم العينين بالدهاء . . إنه قد ألف أن ينادى العمدة بياحضرة العمدة فى ذلة وخضوع ، وأن ينادى المحامى « بيامیتر » فى توقير وإجلال . . وهو يضحك منهما فى كمه . .

أما رأفت أفندى فهو من المحاربين القدماء . وساحة الهزيمة التى أثخنته بالجراح هى امتحان شهادة الكفاءة . لقد تقدم لهذا الامتحان تسع مرات آب فيها جميعاً . . بالإخفاق المبين . لقد كان للكفاءة فى الماضى شأن وأى شأن . ما يزال يروقه أن تقدمه للناس بقولك : حضرته رأفت أفندى . . ساقط كفاءة .

هذه هى مفخرته الأولى . أما مفخرته الثانية فهى أنه شقيق ضابط نقطة « كفر شحاتة » .

* * *

وحضرة العمدة يربطه « بالميتر » أنه محامى ولده ، وولده الآن نزيل السجن الاحتياطى بتهمة سرقة حمار ، وصبغه ، وبيعه فى سوق البلدة المجاورة بلون جديد وسعر زهيد .

وتربطه بشيخ البلد العلاقة التى تربط الرئيس بمرؤوسه . إن العمدة يأمر وشيخ البلد يطيع وينفذ . . إن أراد حضرة العمدة أن ينقب متجر « عمر » ، فإن متجر « عمر » ينقب . وإن أراد أن تتلف زراعة « بكر » فإنها تتلف ، وإن أعجب حضرة العمدة بزوجة « عويس » فإن زوجة « عويس » فى الخدمة . إن شيخ البلد رجل نشيط . . .

وتربطه « برأفت أفندى » علاقة « الاستظراف » المتبادل ، فإن « رأفت أفندى» شقيق ملاحظ النقطة . وحضرة العمدة رجل ذكى . حينما يطلب « رأفت أفندى » خروفاً حولياً أو ديكاً رومياً فإن معنى ذلك أن حضرة الضابط هو الذى يريد هذه الأشياء . والعمدة يرسلها مع « مخصوص » لغاية البيت ، ويقسم ألا يتقاضى ثمنها ، وهو يعلم فى دخيلة نفسه أن « رأفت أفندى » لم ولن يخطر بباله قط أن يدفع ثمنها . ولكن العمدة موقن بعد هذا أن الضابط النشيط سينظر إلى أعماله ، وإلى الأمن فى القرية بعيون الديوك والخراف . .

* * *

اجتمع الأربعة فى « البندر» فإن قضية نجل العمدة تنظر اليوم . . وتأجلت القضية ، وجلسوا عند الظهر ، كعادتهم فى « بار البندر » الوحيد .

وصفق العمدة فى طلب الشراب .

وشربوا حتى ثملوا . . .

وكان كل واحد منهم ينظر لرفاقه على أنهم سكارى وهو اليقظ الوحيد . وكان كل واحد منهم يغطى صاحبه بنظرات كلها استخفاف وسخرية وهو واثق أنه يوجد فى الأربعة ثلاثة مغفلون وثعلب واحد . . .

كان حضرة العمدة يعتقد أن « الميتر » مغفل كبير فإن الميتر يسخر كل مواهبه فى خدمة القضية ليحصل على مؤخر « الأتعاب » الجسيم ، لكنه لن يعطيه المؤخر أبداً . . أبداً !

كان المحامى يعتقد أن العمدة مغفل كبير . إنه قانع بالجنيهات القليلة التى أخذها. لقد حضر القضية عدة مرات وطلب التأجيل . . التأجيل فقط . لكنه مصمم أن يتقاضى ليلة جلسة المرافعة أتعاباً جديدة . لأن القضية كبيرة متعبة وإلا فلا حضور فى الصباح ، وليذهب المتهم إلى الجحيم . .

وكان العمدة يعتقد أن شيخ البلد مغفل كبير . فإن العمدة اشترى أرضاً فى مديرية أخرى نائية . وتزوج من القرية التى تقع فيها تلك الأرض كاعباً حسناء، أنشأ لها بيتاً فى الضيعة الجديدة يزورها فيه بين حين وآخر ، فى غفلة من زوجاته الثلاث ، المقيمات بمقر العمودية . . . إن أحداً لا يعلم بهذه الزوجة الجديدة إلا شيخ البلد ، فإن العمدة يرسله بين الوقت والآخر . ليراقب شئون الضيعة ، ويقضى حاجات الزوجة الجديدة . . وإن العمدة لينتهز فرصة غياب صديقه العزيز شيخ البد فيتسلل إلى داره فى جنح الليل ويأخذ مكانه فى فراش الزوجية . . .

وكان الشيخ قابيل يعتقد أن العمدة مغفل كبير ، فإنه ينام ، حين يصل إلى الضيعة الجديدة ، لا فى مندرة الضيوف بل فى أحضان الدرة المصونة والجوهرة المكنونة .

وكان العمدة يعتقد أن « رأفت أفندى » مغفل كبير ، لأن ثمن التستر على الجناية فى القرية ديك رومى وثمن التستر على الجنحة ديك فيومى .

أما رأفت أفندى فكان يعتقد أن العمدة أكبر مغفل فى الدنيا . .

لأن نجل العمدة لم يذهب إلى السجن إلا ببركة أخيه ، وأنه ليعلم أن أخاه منقول من القرية . . وهو معتزم أن يقدم للمأمور تقريراً سريًّا فيه إحصائية بجرائم العمدة ومخازيه . .

وطاب الشراب . . وكان « البار » يقع على قارعة طريق تمر بها السيارات الذاهبة إلى القاهرة . وتاق « المبّر » إلى سهرة فى العاصمة ، فطرح الاقتراح على الجماعة . . وهللت الجماعة . .

هلل العمدة وقد سبق إلى خاطره أنه يستطيع أن يستدرج المحامى فى صباح اليوم التالى إلى مقر لجنة تسوية الديون العقارية ليترافع عن تسويته .

وهلل « رأفت أفندى » وقد سبق إلى خاطره أن يستطيع أن يزور صديقته الراقصة « بدرية » .

وهلل الشيخ قابيل وقد سبق إلى خاطره أنه يستطيع أن يزور السيدة زينب وسيدنا الحسين .

وكان ظاهر حماسهم أنهم سعداء بصحبة بعضهم بعضا ، وباطنه يقينهم أنهم لن يتحملوا شيئاً من نفقات الرحلة ما داموا مع العمدة ، فإن العمدة يعتبر وضع يد أحدهم فى « جيبه » — وهم فى حضرته — إهانة لا تغتفر لكرمه الحاتمى . .

وأدار العمدة فى رأسه حسبة صغيرة ، أثبت فى باب المصروفات نفقات هذه النزهة إلى القاهرة . واعتمد فى باب الإيرادات مبلغاً مقابلا : إن « خضرة بنت محمود » تبيع الأفيون المغشوش فى أمان ، وقد آن لها

أن تدفع «ضريبة الدخل» .. ولدى «بسطويسى بن هانم» حمار أبيض لابأس أن يصبغ بلون آخر ويباع فى إحدى الأسواق البعيدة ، حتى تعرف الحكومة أن الحمير تلبس جلوداً غير جلودها برغم وجود نجل العمدة فى الحبس الاحتياطى ؛ فيكون فى ذلك مورد من موارد الدخل ، ودليل من أدلة البراءة . .

وربت « حضرة » العمدة على العمامة الأنيقة المستوية فوق رأسه ، وتنهد بارتياح بعد فراغه من موازنة الميزانية ، ونادى إحدى سيارات الأجرة من الموقف القريب .

وجاءت السيارة . وركب الأربعة : العمدة والشيخ قابيل إلى جوار السائق ، . والمحامى ورأفت أفندى فى المقعد الخلفى . .

وقطعت السيارة بعض الطريق إلى القاهرة ، وإذا فتاة تلوح للسيارة كى تقف ، ووقفت السيارة . وسألت الحسناء السائق :

ـــ أتأخذنى معك إلى القاهرة ؟

وأسرع المحامى إلى الإجابة وهو يفسح لها مكاناً بينه وبين رأفت أفندى :

ـــ تفضلى يا « مدموازيل » . .

كان العمدة والشيخ قابيل يتلهيان فى جلوسهما إلى جوار السائق بالنظر إلى الطريق . . لكن نظرهما ارتد بغتة بعد ذلك ، إلى داخل السيارة . ولم يجد العمدة غضاضة فى أن يلوى رقبته الغليظة إلى الوراء ويسأل الفتاة وهو يحدق فيها بعينين فهمتين :

— اسمك إيه يا عروسة ؟

— اسمي جورجيت

— بنت مين يا عروسة ؟

— أنا بنت كرياكو أسطى وابور مجدى بك .

— ورايحة مصر تعملى إيه يا عروسة ؟

— أنا مش عروسة أنا لسة بنت با شتغل فى شيكوريل .

وضحكت ضحكة ، وسيقية أطارت النعاس من رءوس الأربعة المثقلة بالخمر . . .

كانت فتاة لعوباً . ذات عينين تفريان المهج . يشرف عليهما حاجبان من صنع حلاق حاذق .

ذكر العمدة بحزن وهو يحدق فى وجهها المشرق وخدها الأسيل وجنات زوجاته المكتظة باللحم .

وحدث الشيخ قابيل نفسه وهو يخالسها النظر : « هذا هو الغزال الذى سمعت عنه فى المواويل » .

وذكر المحامى وهو يحدق فى فمها المزدهر كالزنبقة الحمراء حياة « الظمأ » التى يحياها .

وأحس رأفت أفندى بغثيان وهو يذكر رِدْفَىْ الراقصة « بدرية » الثقيلين ، وفمها الواسع ، وثدييها المترهلين . وحاول الأربعة أن يفوزوا « بالفتاة » جورجيت .

تحدث المحامى عن قضاياه ومسئولياته ومركزه الاجتماعى .

وتحدث العمدة عن أطيانه وثرائه ونفوذه فى القرية .

وتحدث الشيخ قابيل عن « حيثيته » بصفته شيخ مشايخ بلدة « كفر شحاتة . .

وتحدث رأفت أفندى عن الروايات التى قرأها وعن أخيه حضرة الملاحظ .

وحاول كل من طرف خفى أن يغض من قدر صاحبه ليكون الرجل المفضل . .

فتحدث شيخ البلد فى رفق عن أزمة المحامين .

وتحدث « الميتر » فى رثاء عن قيمة شهادة الكفاءة فى الوقت الحاضر .

وتحدث العمدة فى تواضع عن تنفيذ مشايخ البلاد لأوامر العمد .

وتحدث رأفت أفندى فى قلق عن سارق الحمير ونزيل الحبس الاحتياطى .

وهشت جورجيت للجميع . . .

* * *

لما وقفت السيارة فى منتصف الطريق فى إحدى محطات البنزين ، كانت جورجيت قد كسبت صداقة، أو بعبارة أصح، عبادة الأربعة .

كان قد جرى بينها وبين « الميتر » الحديث الآتى فى غفلة من الجميع :

ـ إنك ظريفة جداً .

ـ مرسى .

ـ إنك وديعة كالحمامة .

ـ مرسى .

ـ العفو .

ـ هل أستطيع أن أراك فى القاهرة ؟

ـ إننى أتناول غدائى عند الساعة الثانية فى مطعم « النجمة » .

ـ صحيح .

ـ صحيح .

. . . وكان قد جرى بينها وبين رأفت أفندى الحديث الهامس الآتى :

ـ إنك أجمل من ماجد ولين .

ـ مرسى .

ـ ومن غادة الكاميليا .

ـ مرسى .

ـ ومن صوفيا لورين وفاتن حمامة .

ـ العفو .

ـ إنك ملاك .

— مرسى .

— إن يدك صغيرة ولطيفة . لم تخلق إلا للإحسان للقلوب . هل أستطيع أن أراك فى القاهرة ؟

— إننى أتناول غدائى فى مطعم « النجمة » فى الساعة الثانية .

— صحيح ! ؟

— صحيح . . قسما بساقيك الجميلتين .

وتنهد رأفت أفندى بارتياح . . . .

وكان الجميع قد ترجلوا عند محطة البنزين ولما بدأوا يأخذون أماكنهم رأى المحامى أن يجلس هو ورأفت أفندى إلى جوار السائق وأن يدعا مكانهما لصاحبيهما من قبيل المجاملة .

ووجدت جورجيت نفسها بين عمامتين ضخمتين ، ونثرت ابتسامة إلى اليمين وابتسامة إلى اليسار .

وعربد دم العمدة الضخم فى شرايينه ومال بكلكله على قوامها الهش . وهمس فى أذنها فى غفلة من الجميع :

— ياست الحسن .

— نعمين ؟

— دمك شربات .

— مرسى .

- كلامك سكر نبات . . .

— مرسى .

ـــ ياست الحسن نظرة . ا . . . ا . .

ـــ إننى أتناول غدائى فى مطعم « النجمة » فى الساعة الثانية .

ـــ الثانية تماماً ؟

ـــ تماماً .

ـــ الله يخليك وينجيك ويتم عليك جمالك و كمالك وظرفك ودلالك ياست الحسن . .

* * *

. . . ولما وصلت السيارة إلى القاهرة كان الشيخ قابيل يعتقد أيضاً أنه الفائز الوحيد بميعاد الساعة الثانية فى مطعم« النجمة » وأن الفضل فى ذلك لعينيه العسليتين، وشواربه المفتولة الصاعدة إلى أرنبتى أنفه ، ومواويله التى ناح بها راجياً إقبال الغزال النافر وهو يميل على « جورجيت» .

. . . ومدت الحسناء يدها لهم مودعة وضغط كل منهم على يدها ضغطة ذات معنى .

وأمضوا السهرة معاً : وعند باب الكباريه ، بعد منتصف الليل ، بدأ كل منهم يعتذر لصاحبه عن اللقاء فى اليوم التالى :

ومضوا إلى حيث ينامون .

وأفنى الذئاب الأربعة بقية الليل يفكرون فى افتراس النعجة التى ألقاها القدر فى طريقهم . . .

كان المحامى يحدث نفسه أن جنبها سيكون إلى جنبه ، فى فراش هذا الفندق فى الليلة القادمة .

وكان العمدة يفكر فيها كما يفكر فى « وجبة» يشتهى أن يلتهمها .

وكان رأفت أفندى يذاكر من « نوتة » يحملها فى جيبه دائماً ، عبارات الهيام والغرام التى اقتبسها من الروايات الرخيصة التى قرأها ليهمس بهذه العبارات فى صدر « جورجيت » وهى تحيط عنقه بذراعيها العاريتين .

أما الشيخ قابيل فقد كان يحلم أنه جاث جثى الكلب عند قدمى « جورجيت » يتأملها وهى تنضى ثيابها قطعة قطعة عن جسدها الشبيه بالقطن المندوف .

* * *

فى حوالى ظهر اليوم التالى بدأ الذئاب الأربعة يتحركون نحو مطعم « النجمة » .

نسى العمدة عمله الهام فى لجنة التسوية ، ونسى رأفت أفندى « بدرية » الراقصة . ونسى الشيخ قابيل حق السيدة زينب وسيدنا الحسين عليه . ونسى المحامى مكتبه وقضاياه .

وجلس « الميتر » فى إحدى زوايا المطعم على مائدة تمكنه من مراقبة الداخلين .

وكان الثلاثة الآخرون يحومون حول المطعم .

ولمح رأفت أفندى الشيخ قابيل . ولمح الشيخ قابيل العمدة . ولمح العمدة رأفت أفندى . واعتقد كل منهم أن صاحبه يقتفى أثره

ويتلصص وراءه . وحقد كل منهم على صاحبه . وود كل منهم لو يقرض « رقبة » أخيه .

ورأى « الميتر » من وراء الجريدة التى يخفى خلعها وجهه ، الثلاثة وهم يتسللون الواحد فى أثر الآخر إلى داخل المطعم .

ورأى كل منهم يعطى ظهره للآخر . وفازت به الدهشة .

ورأى الثلاثة وهم يكنسون المطعم بنظراتهم بحثاً عن « جورجيت » . المحامى وهو يخفى رأسه وراء جريدته .

وازداد عجب الذئاب .

* * *

وجاءت « جورجيت » أخيراً بقامتها الرشيقة وشعرها الذهبى وابتسامتها المتألقة .

ولم تكن وحدها . . كان يرافقها شاب وسيم من أبناء جنسها . وكان الظاهر أنه مثلها من عمال المتاجر وأنهما اعتادا التلاقى لتناول الغداء فى مطعم « النجمة » معاً . كان ذلك واضحاً من معاملة الخدم لهما . .

وجاء الطعام الشهى . وأخذت زجاجة النبيذ مع ابتسامات «جورجيت» تغسل العناء والجهد من محيا الفتى .

ورآه الأربعة يتأمل وجهها بحنان وشغف . وأناملها تعبث بيديه الموضوعتين على المائدة ، فعرفوا مكانها من قلبه ومكانه من قلبها .

كان واضحاً أنهما يعيشان قصة غرام .

ورمقت « جورجيت » كلا من الأربعة بنظرة خبيثة .

ورآها الأربعة تتحدث لصاحبها وهى تشير نحوهم بطرف الشوكة وكأنها تدله عليهم . وتحكى له قصة كل منهم معها .

ورأوا الفتى يضحك ويغرق فى الضحك وهو ينظر نحوهم نظرات مفعمة بالسخرية ويغطى يد « جورجيت » بيده فى حماس وحنو .

وكلما مضت فى الحديث مضى فى ضحكه . ونظراته الماكرة تستقر عليهم وتخيل لهم أنه يراهم قروداً فى أقفاص . . .

ومرت بهم « جورجيت » فى طريقها إلى باب الخروج وذراعها معلقة بدلال فى ذراع رفيقها ، ولذعتهم بابتسامات كالسياط .

وهكذا أفلحت الشاة فى أن تضحك من الذئاب .

* * *

وهجم رأفت أفندى على منضدة حضرة العمدة وكأنه رآه فجأة . وتصافحا فى حماس .

وأدار حضرة العمدة رأسه ثم صاح : أما عجايب . دا كان « الميتر » هنا . . ولما استقروا جميعاً على مائدة « الميتر » رأوا الشيخ قابيل يتقدم نحوهم قائلا : « سلامو عليكو ياجماعة » .

وهز « الميتر » رأسه مغمغماً : رب صدفة خير من ألف ميعاد .

وأقسم العمدة أن يدفع الحساب .

* * *

وقال العمدة فى الطريق : أرأيتم « بدع » « بنت كرياكو » وكيف كان الولد الذى معها يغازلها جهاراً نهاراً .

وقال رأفت أفندى : ياضيعة الأخلاق .

وقال الشيخ قابيل : « لقد ولى الوقار الأدبار من بر مصر » .

وقال المحامى : الشباب خلعوا برقع الحياة .

واتفق الأربعة أن يفترقوا بضع ساعات لبعض شئونهم ، ثم يجتمعوا فى سيارة تحملهم إلى « البلد » .

وفى هذه الساعات : ذهب الشيخ قابيل لزيارة « الأسياد » . . وذهب العمدة إلى لجنة التسوية ، ثم إلى زيارة ابنة له متزوجة من أحد علماء الأزهر. وذهب رأفت أفندى لزيارة « بدرية » الراقصة ليقول لها إنه جاء خصيصاً يملأ عينيه من حسنها الرائع . وقطع المحامى الوقت فى مشاهدة معروضات الحوانيت ، وإلقاء نظرة على المؤلفات المعروضة فى واجهات المكتبات .

* * *

ولما مضت السيارة تقطع بهم الطريق إلى الريف لم يكن لهم حديث إلا حديث الحسرة على سوء الحال والمآل فى القاهرة .

كأن الذئاب الأربعة جد زاهدين فى لحم النعاج . . .

الكمـــاري ..



نحن الرجال المتزوجين منذ بعيد ، المحاربين القدماء ، نكتشف غالباً عندما نراجع تاريخ حياة قلوبنا حقيقة حزينة : إن الفتاة التى اقترنا بها هى غير التى أحببناها وزفها إلينا خيالنا الخصيب ، فى أحلام الشباب . .

وأنا أسطر هنا قصة هذه الحقيقة ، المقترنة فى فؤادى بذكريات حب قديم ، مات فى مهده .

إن الليل الآن انتصف ، والسكون يحتضن البيت ، وقد نام منذ قليل ابنى سامى الذى يذاكر دروسه بحماس ليحصل على الشهادة الابتدائية .

وقد تسللت إلى منضدته التى يصفّ عليها كتبه بعناية فائقة ، وجلست إليها وبى حنين عجيب إلى الماضى والأيام التى كنت فيها فى مثل عمره تبهرنى الكتب المصورة والأقلام الملونة .

مسكين صغيرى سامى . . عندما كنت فى سنه كنت أحسن منه حظاً ، لم تكن منضدتى من الخشب الأبيض الرخيص كمنضدته كان أبى تاجراً موسراً ، أما أنا أبوه ، فلست إلا كمسارى قطار . .

فلأكتب . . إننى فى أمان من زوجتى ، فإنها مستغرقة فى النوم، إن زوجتى فاطمة طيبة ، لكن « كيتى » ، كانت . . . حلوة . ويوم كانت كيتى فى حياتى لم تكن فاطمة فيها، وهذه هى المسألة.

فإننا نحن الرجال المتزوجين لانتزوج فى الغالب المرأة التى أحببناها بل امرأة أخرى غيرها . . وتوجد دائماً فى قلوبنا منطقة نخفيها عن أعز الأعزاء ، عن الزوج والولد ، ونهبها للصمت والسكوت ، ونتسلل إليها أحياناً خلسة ، لنعيش مع الذكريات التى لاتنسى .

ومهما كبرنا ، وصعدت بنا السن ، وثقلت على أكتافنا المسئولية فإننا نبقى فى هذه الناحية الخفية أطفالا نفرح ونألم لأتفه الأمور .

كنت فى العشرين أتلقى دروسى فى مدرسة الطب .

وكانت فى الثامنة عشرة .

وكانت الملاك الذى هبط فجأة . . من السماء السابعة .

ولم تكن السماء السابعة إلا الطابق الرابع فى بيت كنا نقطن الطابق الثالث منه .

وبصفتنا السكان الجدد نزلت أم كيتى لترحب بأمى . . وسرعان ما أصبحتا صديقتين تتبادلان الزيارة .

عدت من المدرسة ذات يوم عند الغروب . . وسمعت فى قاعة الضيوف صوتاً نسائياً ناعماً ، وضحكات فضية .. فانحنيت على ثقب المفتاح . . وظللت منحنياً طويلا .. فإن « كيتى » كانت جميلة حقاً . .

* * *

وبعد أيام قليلة جاءت « كيتي » مع أمها ترجوني أن أشرح لها بعض مسائل في الهندسة، استعصى عليها حلها .

ولما أصبحنا وحدنا في حجرتي ، أمام مكتبي ، تبينت أن الفتاة أنجب من أن تعجز عن حل هذه المسائل . .

لكننا على أي حال لم نبعد كثيراً عن الهندسة . واتفقنا على أن الخط المستقيم هو أقصر الخطوط ، حتى في المسائل القلبية .

فلما أطلت أمها برأسها علينا من باب الحجرة سائلة : « هل وصلتم إلى نتيجة ؟ » أجبناها بالإيجاب ؛ فإننا كنا قد وجدنا الحل فعلا ، عندما فكرنا في كرسيين متجاورين في « السينما » في اليوم التالي .

وكان لقاء عذباً .

. وكان حباً عفيفاً . لن أنسى نزهاتنا البريئة. وأحلامنا الذهبية عن جنة الزواج . .

ثم رأيت « كيتي » تبرد فجأة . . وبدأت تهملني ! . .

ولم يكن مر بخاطري أنها ربما تهجرني يوماً ، فلما وضح مللها راقبتها عبثاً . فقد كانت حريصة .

لكن المصادفة أخبث من اليقظة . . هي وحدها التي أتاحت لي أن أراهما معاً، وهما يصعدان السلم إلى طابقها .

كان وسيماً ، يرتدي ملابس ضابط في الجيش ، برتبة يوزباشي .

وأدركت أنها ضحت بالطالب الذى لم يتحدد مستقبله ، من أجل النجوم اللامعة ، وهذا إذن هو السر فى أن أمها لم تعد صديقة حميمة لأمى ، وأن زياراتها لنا أصبحت نادرة وفاترة .

وعلى الرغم من أن الحقيقة كانت سافرة فإننا نحب أحياناً أن نبدو أغبياء . . . ذهبت أراجع « كيتى » . وذكرتها بعهودها وبقلبى . ولكنها رمقتنى باستخفاف . إن عيونهن التى ترسل السحر تستطيع أن تنفث السم أيضاً . .

واعتصمت بكبريائى وضحكت وأنا أقول لها : اسمعى . الأيام بيننا . . إن مستقبلى باهر وسأتزوج فتاة خيراً منك . . وسترين . . »

وأجابت ساخرة : « ربما . . لكن الآن . . ماذا تصنع لو أبوك طردك من البيت . . .

قلت : « أبحث عن فتاة فى حاجة لدروس فى الهندسة . »

ولطمتها على وجهها واستدرت خارجاً . .

وكان هذا اللقاء المر هو اللقاء الأخير .

لكن هل انتهى ما بيننا حقاً ؟ !

إن الوداد فقط هو الذى انتهى ! أخلى مكانه للكراهية وأصبحت مريضاً أن أبدو أسعد منها . وأن تكون لى امرأة تفوقها فى كل شىء . وبذلك ينال قلبى ثأره .

ولم تدخر وسعاً فى أن تجعلنى أعرف أنها أسعد فتاة فى الدنيا .

ويوم كنا على وفاق كانت ترسل لى كل مساء ، وأنا جالس إلى

كتبي ، فى حجرتى القبل والابتسامات على نغمات « البيان » .

وبعد الجفاء .. أصبح المعزف يرسل لى أنغاماً أخرى ، ذات معان موجعة .

ولن أنسى قط الليلة التى سهر فيها المعزف طويلا ليعصر فى أذنى ألحانه المسمومة ، كان جلياً أنها قرأت الصحف وتبينت أننى لم أنجح فى الامتحان . . وأنها تحتفل بهذه المناسبة السعيدة .

وكنا نلتقى أحياناً على السلم فأرى الشماتة على وجهها المتجهم الجامد.

* * *

بعد شهور كنا فى ظروف جد متباينة .

كان مسكننا غارقاً فى الحداد لأن أبى مات . وكان كل شيء فى مسكنها بهيجاً ضاحكاً . . فقد تم زفافها إلى « كامل نجاتى . . اليوزباشي » .

ومضى وقع الأقدام فى الطابق الرابع يحدثنى عن السهرات المرحة الراقصة .. لم تكن كعوب أحذية النساء الرشيقة الرفيعة تقع على البلاط . . بل كانت تقع فوق قلبي . .

ولم أحتمل . . خيل لى أن القدر يساعدها ويناوئنى . . فبحثت عن بيت آخر ، فى حى بعيد . .

وانقطعت أخبار « كيتى » عنى .

* * *

. . . وقد مضت خمسة عشر عاماً دون أن ألقاها أو أسمع عنها خبراً .

ولم أكن بحاجة إلى هذا اللقاء .

فإن الكوكب الذى لازمنى طيلة هذه المدة لم يكن كوكب السعد .

لم يعد ميسوراً بعد موت أبى أن أتم تعليمى .. وأصبحت مسئولا عن أسرتى وأشقائى الصغار . . فغادرت المدرسة . . وآثرت أن آخذ مكان أبى فى متجره . . لكننى أسرفت فى الثقة بعملائى . . ومات المتجر ..

وتذكرت شهادة البكالوريا التى أحملها . فبدأت أطوف بها على المصالح ذلك الطواف المهين .

ونجحت أخيراً ، فى أن أجد وظيفة كمسارى قطار . . .

وتزوجت فاطمة . ابنة الرجل الذى وجد لى الوظيفة . فقد كان ذلك شرطاً ضمنيًّا فى المسألة .

ولم يكن للقلب دخل فى هذا الزواج . . لكن ربطنى بها بعد ذلك ابنى سامى ، الذى جر وراءه ثلاثة أطفال آخرين .

وأصبحت لنا متاعبنا المشتركة . وهمومنا المشتركة .

ولم يبق لى من الأحلام العذبة البعيدة إلا تلك المنطقة السرية فى قلبى ، التى أخفيها عن أعز الأعزاء ، وأهبها للصمت والسكوت ، وأتسلل إليها أحياناً لأعيش مع « كيتى » . ومع الذكريات . .

ومنذ أيام كنت أجوب قطار الإكسبريس العائد من الإسكندرية إلى القاهرة لأتفقد تذاكر الركاب .

ودخلت عربة الدرجة الأولى .

ورأيت فى الديوان الأول رجلا وسيدة وطفلا .

ومد لى الرجل بين أصبعين ، وفى عجرفة ، تذكرتين فقط .. وأحنقنى ذلك فطالبته فى جفاء بتذكرة الطفل .

وأجابنى فى غطرسة بأن الطفل صغير لا يستحق تذكرة .

ولما اشتد جدالنا رفعت السيدة عن وجهها الصحيفة التى كانت تطالعها .

وإذا هى . « كيتى » . .

« كيتى » . . بعد خمسة عشر عاماً .

الرجل الغليظ هو اليوزباشى « كامل نجاتى » . . الذى كان وسيماً . . فى الماضى . .

وابتسمت الصديقة القديمة . . عرفتنى بدورها . . كانت ابتسامة تقول « أتذكر ؟ »

وفتحت مدام « كامل نجاتى » حقيبتها ومدت لى أناملها بالقروش المطلوبة حسماً للنزاع . . .

ولم تتكلم لكن عينيها قالتا لى : « أترى . . . الدنيا لى لا لك .. إنك رجل بلا بخت . . . »

وأحنيت رأسى . كانت ما تزال جميلة . وناعمة ومعطرة . .

. . . وكم كانت هزيمة مرة وأنا أعبر من عربة إلى عربة كرهت الحياة . . . ولكن وجه ولدى سامى ملأ عينى وطلب إلى أن أتجلد وأتماسك .

وعدت إلى بيتى منقبض الصدر . كنت قد هربت من ذلك الرهان المشئوم بينى وبين « كيتى » . فلماذا نلتقى فجأة . . بعد خمسة عشر عاماً . على هذه الصورة .

لماذا قدرلى أن أرى فى عينيها تلك السخرية القاسية وكأنها كانت تزداد وتتراكم لتنتظرنى كل هذا الزمن .

وأخذت الأيام تمضى كئيبة مملة . .

. . . حتى كان ذلك المساء الذى عاد فيه ابنى سامى من المدرسة سعيداً مغتبطاً . . . ودنا من صدرى . وبدأنا سمرنا .

قال الصغير بعد تردد : « يا بابا برضه زى كل الشهور اللى فاتت طلعت الأول » وأجبته وأنا أقبله : « برافو ياسامى » .

وعاد يقول وقد لمع الحماس فى عينيه : « أنا مبسوط خالص يا بابا إنى بطلع الأول على الأولاد اللى بيتكبروا على. ومبيرضوش يصاحبونى عشان أهلهم أغنيا . . »

— زى مين يا سامى .

— أنا البرنجى على سعيد ثابت ابن ثابت باشا وخيرت على ابن ناظر المدرسة . وحسن ابن كامل نجاتى الأميرالاى و . . .

قاطعته : هو ابن كامل نجاتى وياكم فى الفصل ؟

وأجاب : إيوه يا بابا . . ده بليد قوى .

وذكرت الغلام البدين . . ابن « كيتى » . . الذى اختلفت مع أبيه المتغطرس فى القطار من أجل تذكرته .

لقد أصبح كامل نجاتى إذن « أميرالا يا » . . بينما غدا طالب الطب « كمسارياً » . .

لكننى أحسست مع ذلك بالغضب يتبخر من صدرى . وانهلت على وجه ولدى بالقبل . .

خيل لى أننى لم أهزم . لم تنتصر « كيتى » على بعد .

وأنا مدين بذلك لطفلى العزيز .

لن أخجل لو لقيتها ثانية فى القطار . سأستطيع أن أقول لها : لنا أيضاً نحن الفقراء مسراتنا المتواضعة . إنه لأمر يبعث على التفاؤل أن يتفوق ابن « الكمسارى » على ابن « الأميرالاى » . . ويثبت أنه أذكى منه . لم نخسر المعركة بعد يا سيدتى .

ولست أخفى أن خاطراً خبيثاً يمر برأسى أحياناً . ربما يغدو ابنى طبيباً . . وربما يغدو ابنها . . « كمسارى » قطار .

ربما . . من يدرى . . إن المعركة لم تنجل بعد .

کلّہ تمام!



قالوا لها : « اجلسى هنا حتى يأتى دورك » .

وجلست . . . على الدكة .

والدكة كانت ملقاة خارج « بوفيه الاستوديو » .

وكانت ترتعش من برد يناير فى الليل . . ومن الرهبة . فإنها فى الاستوديو لأول مرة فى حياتها . . أقصد ، فى فناء الاستوديو . أما « البلاتوه » فقد كان يبعد بضع خطوات عن الدكة . . وقد قال لها الصديق الذى جاء بها ، فى صوت به خشوع ، وهو يشير إلى بابه المصفح : « وراء هذا الباب يجرى التمثيل والتصوير . . أنظرى إلى المصباح الذى يعلو الباب . . عندما يكون النور أحمر لا أحد يدخل ولا ولا أحد يخرج وإلا " باظ " الشغل » .

وطلب لها من البوفيه واحد شاى وسندوتش حلاوة طحينية . . وقال لها الصديق : « انتظرينى . . سأبحث عن مساعد المخرج . . »

ومضت « سنية » تقضم « السندوتش » وأسنانها تصطك . إنها ليلة حاسمة فى حياتها . . إن صديقها « كاميللو » قد وعدها بالمجد .

لقد أكد لها أنه « مهم » فى الا ستوديو . وأنها الليلة ستمثل حتما . .

حقاً أنه دور صغير . . ولكن من الضرورى فى البداية أن يكون الدور صغيراً .

وكان كاميللو نجاراً فى الورشة الملحقة بالأستديو . وكان اسمه فى الأصل « كامل » . . ولكن ممثلة مشهورة أرادت مرة أن تدلله وهو يشد الخيش على القوائم الخشبية داخل البلاتوه ، وأضافت الحرفين الأخيرين . . وضحك الحاضرون وتمسكوا بعد ذلك بالاسم .

وأحس كاميللو منذ ذلك كأن روح « فالنتينو » تتقمصه . وزاد فى طول شعره سنتميرات أخرى . . ولم يعد يبخل عليه بالبريانتين من أجود الأصناف . . ووضع بين أسنانه بيبة . . ووضع على بدنه قميصاً زاهيا تحليه الكاروهات . . وأحاط معصمه بسلسلة فضية تشبهاً بأبطال الشاشة الشبان .

وفى الورشة وهو يخرط الخشب ويجرى عليه « الفارة » كان يتفلسف ويبدى رأيه فى الروايات والنجوم والمخرجين . . وكان يقول : « بصراحة ليس عندنا فن . . والمسألة تهبيش فى تهبيش . . والحالة زفت فى زفت » .

وعندما تعرف كاميللو بسنية ، فى حديقة الأندلس ، قال لها إنه مهندس ديكور . . ولما لم تفهم شرح لها الموضوع بأمانة . . قال لها : « هذه القصور التى تظهر على الشاشة بكش فى بكش . . خيش على مراين . . ويغطى بالورق . . والورق يطلى . . وتعلق عليه الصور . . ويبدو عندما يجف كأكمل ما تكون عليه الجدران فى أحسن البيوت . .

هذه هي شغلتي فى الأستوديو ياسنية . . » .

وبهر سنية أنه يشتغل فى الأستديو . . فقد كانت تحلم بالأستوديو . . وتتمنى لو ترى التمثيل فيه مرة واحدة ثم تموت .

ولكن كاميللو قال لها : « سترين الأستوديو . . وستمثلين أيضاً . . ثم أضاف وهو يمسك ذقنها : «إن بروفيلك يشبه بروفيل جريتا جاربو ، وساقيك — ولا مؤاخذة — مخروطتان على شكل ساق مارلين ديتريش » .

واحمر وجه سنية . . وشعرت بالدوار . . سكرت من الثناء . .

ونظر كاميللو إلى ساعته واستأذن فى الانصراف لكى يصلى الظهر حاضراً .

وعندما صارت وحدها استغرقت فى التفكير فى كلامه .

* * *

كانت سنية طالبة فى الفنون الطرزية . . وكانت تأتى أحياناً إلى الحديقة وفى يدها كتاب . . ولكن لم يكن ذلك بقصد المذاكرة . . كانت تعرف أنها ستفتح الصفحات ولن ترى السطور . . لأنها قادمة لكى تحلم . . ولكى « تغيظ » حبيبها . . فقد كان لسنية حبيب . .

وكان حبيبها طالباً فى الحقوق ، يقيم فى الشقة الواقعة تحت شقتها ، فى منزل صغير بحارة الباشا فى السيدة زينب . . وقد بدأ الحب حلواً . . كلما كانت تدلى السبت بالحبل لكى يملأ لها بائع المدمس طبق الصباح كان « محسن » يستوقف السبت . . وانتهى به الأمر إلى أن يضع تحت

الطبق رسالة غرام . . ورضيت بعد عدة رسائل أن تقابله على محطة الترام . . ثم رضيت أن تركب معه إلى نهاية الخط . . وتوسل إليها أن يمشيا معاً قليلا فى هدوء المساء .. ولكنها خافت أن يراهما أحد . . ووعدته أن تعوضه عن ذلك بأن يتقابلا فى « السينما » لأن الظلام هناك أمين على الأسرار .

وفى « السينما » حاول محسن أن يمسك يدها ، ولكنها أجفلت منه ، وتلاحقت أنفاسها كأنه ضربها . . وافترقا قبل إضاءة الأنوار . ولم ينم ليلتها . . وطلع عليه الصباح وبين يديه خطاب مكون من عشرين صفحة إتهام أنها لا تثق فيه . . وكانت « حيثياته » قوية وكأنه وكيل نيابة وليس طالباً فقط فى الحقوق .

وذاب قلب سنية وهى تقرأ كلماته الحزينة . ونادت بائع البطاطة لكى تبرر أمام أمها هبوط السبت. ووقف السبت فى محطة إجبارية . . وكان دفاع سنية مقتضباً ولكنه كان ناجعاً . . قالت له : « نتقابل فى القناطر » .

وفى القناطر سمحت له أن يمسك يدها .. وذكرها أن البطل؛ فى الفيلم الذى شاهداه تمدد فوق العشب . . ووضع رأسه على ركبة حبيبته . . وقاومت هذه الفكرة الجميلة . . ثم أشفقت أن يبعث إليها بصحيفة اتهام أخرى. . وتم له ما أراد .

وعادت بعد الغروب مدغدغة الحواس . . وأصابعها التى تخللها بأصابعه تؤلمها . . وذراعها التى لمسها متقدة . . وجبينها ، الذى فشل

فى تقبيله ، ملتهب . . وجوربها ملتصق بقدمها من السير الطويل .

وغسلت الجورب . . وذهبت تعلقه على حبال « البلكونة » .

وكانت تستطيع أن تعلقه على أقرب صف من الحبال . . ولكنها اختارت الحبل البعيد لكى يتدلى نصفها فى الشارع وتستطيع إلقاء نظرة . . على حبها . . !

وفقدت توازنها . . وكادت تسقط فى الشارع . . ولكن الله سلم . . وفردة من الجورب هى التى سقطت . . واصطادها محسن . . وقال لها بالإشارة : « تعالى خذيها » .

وهزت كتفيها . . ولكنه توعدها أن يشعل فيها النار إن لم تهبط فى الحال وتأخذها .

وخافت أن يفعل ذلك ، فإنه لا يعرف أنها لا تملك جورباً غيره وأنها ذاهبة إلى المدرسة فى الصباح . .

وهبطت إليه . . ووقفت ببابه ، فى حذر . . ولكنه اقتنص اليد التى مدتها لتأخذ الجورب . . وجذبها إلى الداخل .

وقبلها فى فمها .

والقبلات على الفم إذا بدأت تتابعت . . كحبات المسبحة .

وبعد القبلات ساءت طباعه . . وصار طاغية . . ونصب نفسه سيداً عليها . . يحاسبها على موعد عودتها من المدرسة بالدقيقة والثانية . . ويؤنبها إذا رأى على خديها ظلا من طلاء . . ويرميها بالفجور إذا خرجت بلا جورب ، وهى خجلة أن تقول له إن الجورب ملأته الثقوب ،

ولا قبل لها بشراء آخر جديد إلا بعد أن تقبض أمها من الوقف .

أما المعركة الكبرى بينهما فقد نشبت عندما قصت شعرها بدون استئذانه . . ذهبت إليه وهى موقنة أن أناقتها الجديدة ستروقه ولكنه بدلا من أن يقبّلها صفعها . . وشفع الصفعة بقوله : « ماذا ينتظر من فتاة ترضى أن تقبّل » .

وقالت له ، وقد طار صوابها : « هل نسيت كم توسلت إلىّ . . وكم ألححت . وأنك جررتنى إلى ما كنت أكره » .

وقال لها ساخراً : «إنها تمثيلية معادة . . دائماً تزعمين للأخير أنه الأول » .

ولوى ساعدها وهو يصيح محنقاً : « الحلاق حجة . . ولكن من يدرينى أين كنت بقية الوقت . . فى السينما ترتعشين من يد تلمسك . .؟ أم فى القناطر تمنعين ركبتيك عن رأس يحاول أن يستريح ؟ . . أم كنت فى محطة الترام تخدّرين عاشقا أبله من أن يتحدث إليك أمام الناس . . » .

وتخلص معصمها من قبضته القوية ، وتقول له وعيناها تطفحان مقتا : « إنى أفعل ما أشاء فلست زوجى » . .

وعندما وصلت إلى مخدعها أقفلت الباب على نفسها ، وبكت بكاء مرًّا . . ثم قررت أن تثأر لدموعها .

صارت تخرج دون أن تستأذنه ، وتقرع درجات السلم بكعب حذائها عند عودتها وكأنها تتحداه . إنها فطنت إلى نقطة الضعف فيه . . الشك . . ومن أجل ذلك كانت تذهب إلى حديقة الأندلس . . ولم تكن تقابل هناك أحداً ، ولكنها كانت تعرف أن «محسن» لها بالمرصاد

فى « البلكونة » . . ومن أجل ذلك كانت تشبك على صدرها وردة وكأنها قادمة من القناطر . . وتتوج شعرها بحبل من الفل الذى يشتريه العشاق لحبيباتهم . . ولم يكن يبدو عليه أنه مكترث . . ولم يحاول أن يفتح باب شقته وهى صاعدة « ليزنقها » ويستجوبها . . ومع ذلك كانت واثقة أنه . . يغلى . وكانت تتلذذ بعذابه .

* * *

بعد لقائها الأول « بكاميللو » أغلقت على نفسها باب حجرتها عندما وصلت إلى البيت . . وانجهت إلى المرآة لترى الوجه الذى أكد لها أنه يصلح « للسينما » .. ودارت حول نفسها لترى «بروفيل جريتا جاربو » .. ونظرت إلى خصرها وصدرها .. واستحضرت إلى شفتيها الابتسامة الحلوة .. ودعت الدموع إلى عينيها فأجابت الدموع النداء . .

وبعد ذلك وصلت إلى قرار .. إن « كاميللو » على حق !

نعم ستطلب إليه أن يأخذها إلى الأستوديو .

وستضع قدمها على أول السلم .. ومن يدرى .. كل البطلات كن فى البداية بسيطات . وكثيرات منهن خريجات من حارات أضيق من حارة الباشا ! ..

وتنهدت سنية وسألت نفسها : ماذا يفعل محسن عندما يعرف أنها ذهبت إلى الأستوديو . لقد ثار لأنها قصت شعرها .. هذه المرة سيقتلها ؛ ومن الأوفق أن تخفى الأمر عنه .

تخفيه إلى أن يفاجأ بها على الشاشة . وشاب آخر أجمل منه يقبلها ،

ويخطفها على جواده ، ويذهب بها إلى حيث لا يعلم المتفرجون ومنهم « محسن » .

وانفتح باب الحجرة، ودخلت أمها بالشاى الذى أعدته لها . كانت تذاكر .. وقبّلت أمها وقالت لها : « يا أماه من يدرى .. بعد سنين أو بعد شهور سنترك هذه الحارة .. أين تفضلين أن تسكنى .. فى الزمالك ؟ أم فى جاردن سيتى ؟ أم فى الإيموبيليا ؟ . . » .

وابتسمت الأم المجهدة من الإكباب على ماكينة الخياطة طول النهار وقالت لها : « من يدرى ياسنية ! .. وأنا أعد الشاى كنت أحلم لك .. ليس مستبعداً أن تلميذ الحقوق الذى يسكن تحتنا يخطبك .. وتصبحين ذات يوم حرم " البيه " وكيل النيابة .. ويشترى لك الحاجب الخضار من السوق .. ويضرب لك العساكر تعظيم سلام ! » .

وقالت سنية لأمها وهى تتقصع أمام المرآة وتختلس النظر من ساق مارلين ديتر تش : « إذا جاء " البيه " وكيل النيابة ليخطبنى فاقفلى فى وجهه الباب . وقولى له إن مرتبه لا يكفينى شرابات » .

وضحكت الأم ، فقد كانت تظن أن ابنة الحائكة المسكينة توسع على نفسها بالخيال . ولكن سنية كانت جادة .. وكان تصديق الخيال من طبع الثمانية عشر ربيعاً التى تعيث فى عودها وتدفع الدم فى رأسها وكأنه خمر . . ولم تكن ترى أمها وهى تخاطبها . بل كانت ترى نفسها أمام عجلة القيادة فى سيارة حمراء . . والجماهير تضحك فى وجهها . والشبان والبنات يعترضون سيرها و يطلبون توقيعها على « الأوتوجراف » .

وصارت سنية تتأخر عن موعد عودتها من المدرسة، فإنها تعرج على حديقة الأندلس لكي تقابل « كاميللو». الذى وعدها بالبحث عن فرصة.. وكان دائماً يقول لها : « كل آت قريب» ولكنها كانت مستعجلة ، وبدأت تشك فى نياته ، وفى أنه يكرر المقابلات لغرض فى نفسه .

ولكن « كاميلاو » كان مظلوماً .. كان كل يوم يتوسل للمخرجين ومساعديهم ، ويتذلل لقاسم وجدى منظم الكومبارس ، وكانوا دائماً يقولون له : : « حاضر » .

وكان يضع كلمة « حاضر » فى باكو الشكلاتة الذى يقدمه لها .. وجاء وقت أصبحت فيه سنية تنظر إلى غلاف الشكلاته .. ولا ترى كلمة « كادبورى » .. وتخال أن كلمات أخرى مكتوبة بدلا منها هى « كل آت قريب » .

وذات مرّة وقالت له فجأة بعصبية: « إنك تضحك منى » .

وقال لها بتعاظم الفنان : « اسمعى.. ليس بى ضعف للنساء .. إن لى ضعفاً آخر هو أن أسكر طينة . . ومن أجل ذلك أصلى كثيراً لأنى فى حاجة متجددة إلى الغفران . . وضعفى الثانى هو ميلى إلى اكتشاف النجوم .

وصدقته . . وتذكرت أنه لم يحاول أن يلمس يدها ، ولا أن يقوم بالمناورات التى عهدتها من « محسن » .

* * *

نعم لم يكن كاذباً . وآية ذلك أنها جالسة الآن على الدكة الخشبية

خارج البوفيه ، تقضم سندوتش الحلاوة الطحينية ، وتزدرده بمساعدة جرعات من شاى ثقيل تفوح منه رائحة النعناع ، وتنتظر ، مبهورة الأنفاس ، إنطفاء النور الأحمر المعلق على واجهة « البلاتوه ».

وفى الساعة الواحدة صباحاً وقفت أمام الكاميرا . . وكان كل المطلوب منها أن تبكى وهى تتحول عن شباك البريد بعد أن سألت عن رسالة لن تأتى أبداً .

وقد بكت بسهولة .. ولم يكن السبب أنها قدرت قسوة الموقف كما شرحه لها المخرج ، فإن الذى حدث أنها تذكرت « محسن » فجأة وتمنت لو لم يكونا متخاصمين ، ودعا ذلك الدموع إلى عينيها . .

ولكن المخرج صاح وهو يضرب كفاً بكف : « هذه فتاة تفهمنى يا « كاميللو » . . يا مكتشف النجوم . . مر على غداً صباحاً ، ومعك فتاتك . لتمضى عقداً » .

وفى طريق العودة أخذ المكتشف ، فى زهو المنتصر ، يسدى لها النصح : « لا أدرى هل أفرح لك أم أبكى عليك . إنك دخلت رسمياً الغابة . . السينما مملوءة ذئاباً وحيات . إن بعض المنتجين سيحاول أن يقيس نسب جسمك وأنت بالمايوه . . وبعض الصديقات الحميمات سيدعونك لتناول العشاء ولن يخطر فى بالك أنه كمين . . وأنك ستكونين طبق المائدة المفضل . . يجب أن تسأليني قبل كل خطوة . . » م

* * *

وعند باب البيت قبلها فوق جبينها وكأنه يباركها . واضطرب وهو

يقول لها : « أنا عنيف كالأسد وأنت هشة كالبسكويتة . . إذا حاول أحد أن يؤذيك فأبلغيني . . وأنا أفترسه » .

وكرهت أن تجفل من قبلته .. إن فضله عليها جديد جداً . . وشكرت الله أن « محسن » لا يستيقظ إلى الثانية صباحاً وإلا ظن بها الظنون .

ولكن لم هي زاهدة الليلة في النيل منه . . ألم تكن تذهب إلى الحديقة وتعود وعلى صدرها وردة ، وفي شعرها فل ، لكي تثير غيظه وهواجسه . . وتعذبه بالإهمال كما يعذبها . !

وصعدت السلم . . وعندما صارت أمام بابه رفعت يدها وهمت أن تطرقه وتقول له: «استيقظ أيها النائم . . في وسعي أن أكذب عليك كما كذبت على أمي ، وأن أقول لك إني كنت في زفاف سميرة صاحبتي . . ولكني سأقول لك أنت الحقيقة ، لأنك حبيبي .. سأعترف لك بما حدث .. وإذا رفضت أن أصبح ممثلة فسأطيعك . . إذا ضربتني لأني ذهبت إلى الأستوديو من غير أن أستأذنك فلن أبكي . . قلبي مملوء خوفاً من الغابة التي حدثني عنها " كاميللو" . آه لو ضممتني إلى صدرك . . لو قبلتني لذهب خوفي » .

ذلك ما تمنته . . ولكن يدها تخاذلت . وآثرت أن ترجئ ذلك إلى الصباح .

ونسيت أن عليها أن تبكر إلى المدرسة في الصباح . . وأن أمها تلاحقها بالدعاء ، وتلحظها بحنان ، وهي تهبط السلم .

وفي الساعة الخامسة عادت من المدرسة وهي مصممة أن تدق باب

« محسن ! » ولكنه لم يجب . .

وعندما وصلت إلى شقتها قالت لها أمها وهى تبتسم : « تبطرت ياسنية على وكيل النيابة . . حمل حاجاته وأخلى الشقة . وأعطانى المفتاح لكى أسلمه للمالك » . . . وجلست سنية قبل أن تترنح وتسقط .

وأضافت الأم وهى تواصل الابتسام : « لم يذهب كل الأمل . . قال لى إنه سيعود ويزورنا » .

* * *

وهمت سنية أن تصرخ : « لا يا أماه . . إنه لن يأتى . . لا بد أنه رآنى و" كاميللو " يقبّلنى . . وأن هذا سبب ذهابه » ، ولكن لسانها ثقل .

ومضت الأيام ، بلا جديد . . وكانت سنية تغافل أمها وتأخذ مفتاح الشقة الخالية ، وتغلق الباب على نفسها . . وتبكى فى وحدتها . . وتفحص بعينيها الدامعتين الجدران البيضاء . . لعله ترك لها كلمة بقلم الرصاص . . ليتها تجد كلمة يعنيها بها ولو كانت سبًّا واتهاماً . . لكن حتى هذا لم تظفر به .

ولم تظفر بالعثور عليه عند أبواب الجامعة . . وعندما وجدت الشجاعة لتسأل عنه معاون الكلية قال لها إنه انقطع عن الدراسة .

وزادها هذا كمداً ، ويقينا أنه رأى عودتها فى الثانية صباحاً مع رجل وأن هذا صدمه . . وحطمه . . وقضى عليه .

* * *

ومضت السنون والأمل فى أن يعود لا يبرح قلبها . . سبع سنين . . إنها تجلس الليلة على الدكة الخشبية ، خارج بوفيه الأستوديو ، من قبيل التواضع . .

فإنها غير الفتاة التى جلست ذات ليلة من ليالى يناير تقضم السندوتش . . وترتجف من البرد . . ومن الرهبة .

إنها الآن ممثلة كبيرة . . ونبوءة « كاميللو » لها تحققت .

لقد أحبت « الكاميرا » وجهها الحزين . . والمتفرجون راقتهم دموعها . . واشتهرت بالدموع . . كأن فى عينيها نبعاً لا يجف . . يكفى أن تتذكر « محسن » ، كما فعلت فى المرة الأولى . . ثم تبكى .

وكانت تبكى بأمل . . بأمل أن يرى هو هذه الدموع . . ويفهم . . ولكنه ظل المتفرج الوحيد الذى لا يستجيب .

* * *

والرجال فيهم هواة السيارات ، وفيهم هواة الخيل . . وفيهم هواة الممثلات المشهورات . . وقد كان لسنية من هؤلاء طابور يحرق البخور . . ويقدم ليلاً ونهاراً فروض الطاعة والولاء .. وكان فيهم فتيان يبكون فى التليفون من لوعة الحب . . ويركعون فى « الصالون » التماساً لقبلة صغيرة على القدم . . ولكن سنية ظلت زاهدة فيهم جميعاً ، وتمنت لو يظهر « محسن » فى حياتها فجأة ، ويعود بها من الزمالك إلى حارة الباشا فى السيدة . . إنها ليست فى حاجة للذين يطيعون إذا أمرت . . ويمرضون إذا عطست . . ويصفقون إذا قالت نكتة سخيفة . . إنها فى حاجة إليه هو . . الذى صفعها لأنها قصت شعرها من غير أن تستأذنه .

ولعل أملها فى أن تسترده يوماً هو الذى شجعها على أن تظل شريفة .

ولكن « كاميللو» كان يظن أنه صاحب الفضل . . وأنها مدينة باستقامتها لنصائحه . . وكان ذلك يطربه .

وكان يطربه أكثر أنها لا تتعالى وتستكبر . . ولم تأنف يوماً أن تتأبط ذراعه على ملأ من الناس .

وطالما حاولت وهى تتأبط ذراعه أن تقنعه بالإقلاع عن السكر . . ولكنها لم تنجح . . وظل يصلى كل صباح استغفاراً من ذنب الليل . . وبقيت « توبته » كلمة مسجلة على أسطوانة مملوءة خدوشاً ، تدور بلا تفكير ووجهها إلى السماء .

وعندما عرفت سنية مرة أن اليوم عيد ميلاده ، أرسلت إليه صندوقاً من الكونياك الجيد . . وجرب « كاميللو» زجاجة وزجاجة . . ثم فوجئت به فى بيتها يعيد لها البقية قائلا : « لا ياستى . . إن «الطفية» هى التى تجعل رأسى يدور . . أما هذا فماء معبأ فى زجاجات ، إذا شربته لم أعد فى حاجة إلى الاستغفار والصلاة . . أنت تبعدينى عن الله » .

قالت له سنية : « فماذا تريد أن أهديك . . إنك لم تطلب منى شيئاً أبداً . . أريد يا "كاميللو" أن أعبر لك عن اعترافى بفضلك » .

وأجابها : « إذا كنت جادة فإن الهدية التى أريدها منك . . تربة أريد قبراً أنام فيه مستريحاً بعد عمر قصير » .

وقالت له سنية : « أعوذ بالله . . إنى مستعدة أن أبنى لك بيتاً صغيراً .

وقاطعها فى عصبية : « يا ستى البيت يتخانق عليه الورثة . . لا أريد

أن أترك ورائى خلافات . . أما التربة فلن يطالب أحد بنصيبه فيها إلا فى زهد شديد » .

وحققت له سنية أمنيته . . وانتقلت نزهاته من الأندلس إلى القرافة . .

وهناك صار يمضى عطلة الأسبوع ، يعتنى باللبلابة ويسقى الصبار . . وكان يصيح فى وسط الأستوديو : « اقبلوا عزومتى . . وتعالوا تفرجوا على هدية عيد ميلادى ! ، وشاهدوا المكان الذى سأحتمى فيه منكم ! ومن فنكم . . فن إيه . . سيمتكم زفت فى زفت . . وتلبيخ فى تلبيخ . . وقطران فى قطران » .

* * *

ولم يقبل أحد من أصحابه فى الأستديو دعوته . . قبلتها فقط والدة سنية . . ماتت فجأة . وحارت ابنتها أين توسدها الثرى وليس لأسرتها مدفن. ولكن « كاميللو » تقدم بشهامة لإنقاذ الموقف ، وصار مضيفاً لأول مرة فى حياته .

* * *

وصارت سنية وحيدة جداً. بعد موت أمها . . إن المعزين من حولها كانوا كثيرين . . ولكن مواساتهم الجوفاء كانت تزيدها وحشة وكآبة .

* * *

وذات مساء ، وهى داخل « البلاتوه » استدعيت لتتكلم فى التليفون . وصرخت والسماعة فى أذنها : « أنت..أنت يا "محسن" . . أنت أخيراً

بعد كل هذه السنين . . لا تتكلم ولا تشرح . . ليس الآن وقت التفاصيل . . أريد أن أسمعها منك وأنا أنظر إليك . . بعد ساعة . . ساعة واحدة . . سأكون فى البيت فى انتظارك » .

وعادت الممثلة الكبيرة إلى « البلاتوه » وقالت للمخرج إنها تعبانة . . وإن رأسها يلف . . وانصرفت فى الحال .

* * *

وأمام عجلة القيادة فى سيارتها الحمراء وثب الماضى كله إلى قلبها ، وأخذت سيارتها تنهب طريق الذكريات .

فى أول عهدها بالتمثيل وهى ما تزال تحبو فى « البلاتوه » كان « كاميللو » يميل على أذنها هامسا : « ألم تفرطى فى شىء ؟ . . » .

وكانت تعرف أنه يقصد ذئاب الغابة . . وكانت تهز رأسها سلباً تبتسم !

ويعود إلى الهمس وكأنه يريد أن يستوثق : « كله تمام ؟ »

وتجيبه وابتسامتها تتسع : « تمام يا كاميللو . . اطمئن » .

وصارت كلمة « تمام » شفرة يفهمانها وحدهما .

وبعد أن تألقت ، وصارت كوكباً ، لم يكن يتورع أن يصيح بها بصوته الأجش كلما رآها فى الأستوديو : « كله تمام » ؟ . .

وتجيب وهى تضحك : « تمام يا كاميللو » .

* * *

والآن . . والحبيب يعود . . ما أجمل كلمة كاميللو « كله تمام »

هذه هي مكافأة صبرها الطويل . .

وبرغم أنها كانت حزينة ، وثوبها أسود حداداً على أمها وقفت أمام المرآة وعنيت بوجهها .. وأخذت تدقق النظر إلى الخصر الذى طوقه « محسن » يوماً بساعده . . وإلى الفم الذى تحس حتى اليوم بطعم قبلته عليه .

وتحت « أباجورة » واهنة الضوء أعدت مائدة . . وطعاماً خفيفاً . . وكأسين . . لا بد أن تشعره أن البيت بيته . وكانت وهى تفعل هذا فى لهفة وحماسة تبحث عن جواب عشرات من الأسئلة . . ماذا ذكره بها فجأة ؟ . . هل عجز عن المزيد من المقاومة ؟ هل استطاع أن ينسى أخيراً أنه رأى رجلا يقبّلها قرب باب البيت . . فى الثانية صباحاً . . هل يطلب إليها أن تهجر التمثيل ؟ . . ما أسعدها بذلك إن كان يسعده ! . .

وقطع عليها سيل الأسئلة أن جرس الباب يدق . . وذهبت لتفتح . . فقد صرفت الخدم . . تأهباً للإغماء بين ذراعيه .

ولكنه لم يكن وحده . . كان معه طفل فى السابعة من عمره .

وقال لها وهو يسلم عليها بيد سمينة ينز منها العرق : « بسطويسى ابنى . . سميته باسم جده » .

ونظرت سنية إلى منجب البسطويسى ، ونظرت إليه كثيراً . . إنه ليس حبيبها أبداً . . كله أصبح سميناً وليست يده فقط . . حتى الكلمات وهى تخرج من شدقيه كانت سمينة وهو يقول لها : « لم أعرف إلا أمس

أنك صرت ممثلة . . فليس عندنا فى فرشوط "سينمات" . . ومدة خدمتى كلها أمضيتها فى فرشوط . . أنا مفتش التموين هناك . . والوقت كله يضيع فى صرف بطاقات السكر والزيت والدقيق » .

ثم أضاف وهو يضحك : « هل تعملين أنى مثلت وأنا طالب فى الحقوق . . مثلت عليك . . وعلى فتاة فى شبرا . . وثالثة فى السكاكينى . . كنت أخاصم إحداهن لكى أتفرغ للأخرى وهكذا بالدور . . شقاوة . . شقاوة دفعت ثمنها . . أرملة تكبرنى كان عندها قرشين فى صندوق التوفير أقنعتنى بأن أترك الكلية وأتزوجها وأتوظف . . وكان ما كان . . وخلفت منها البسطويسى . . وبنتين أيضاً فى البيت » .

وقالت له سنية وذهنها شارد ، وكأنها تتفرج على بروفة لقطة « سينمائية » قبل ابتداء التصوير : « ربنا يخلى يا محسن » .

وقال وهو يجلس على حرف الكرسى متأدباً : « إننى جئت إليك لكى تتوسطى لى فى النقل إلى القاهرة . . » .

وقالت سنية : « حاضر » .

وطول طريقه من مقعده إلى الباب لم يتكلم عن شىء غير النقل من فرشوط إلى القاهرة . . حتى أمها لم يسأل عنها . . ولم يلفته ثوبها الأسود .

وعندما أقفلت الباب وعادت كانت خطواتها ثقيلة . . وأخذت تفكر فى سآمة . . ماذا تصنع بليلتها ؟! . . .

وفى تلك اللحظة رن جرس التليفون . . إنه الفتى الأول الذى يمثل

أمامها فى الفيلم الجديد . . لقد كان يهمس فى أذنها منذ ساعتين فى الأستوديو : « متى تسمحين لى بتقبيل قدمك . »

وهاهو ذا يواصل الهمس .

وقالت له بلا تفكير « تعال . . . »

* * *

وعندما رأى البطل المائدة الصغيرة تحت النور الناعم . . والطعام الخفيف .. والكأسين .. فرك يديه بسرور .. ومضت نظرته المختلسة تقيس المسافة بين المائدة والمخدع ، خلال الباب الموارب .

ولم تخف على سنية نظرته المختلسة . . ولم تكرهها .

* * *

وعندما لقيها «كاميللو» مصادفة فى الأستوديو فى الصباح صاح بها « كله تمام ؟ . . . »

وقالت بفتور وانكسار . « تمام يا "كاميللو" » . . ونكست رأسها . . فقد كانت كاذبة .

يَدُ على الزِّناد!



ماكدت أصل إلى بيتها عقب استغاثتها التليفونية حتى ابتدرتني قائلة : « أنا امرأة شقية عاثرة الحظ ، وآية شقائي أني تزوجته ، وربطت حياتي بحياته . . . ولو كان الأمر اقتصر على الزواج لا ستطعت أن أحتمل ، فكم من النساء يؤاكلن الرجال على مائدة واحدة ، ويقاسمنهم الفراش ، ويحتملن في سبيلهم آلام الوضع ، ومع ذلك يضمرن لهم الا حتقار . ولكن مصيبتي أني أحببته وتصور شقائي إذ أحب ذئباً ماكراً ، قاسي القلب ولا أطيق له بعاداً » .

وخنقتها العبرات ، فكفت عن الكلام ريثما تجفف دمعها بمنديل لا أدري من فرط رقته أهو من الحرير ، أم هو قطعة من التنهد ، خرجت من صدرها الرقيق وتجمدت في نسيم المساء البارد .

وانتهزت فرصة اشتباك منديلها بأهدابها ، وابتسمت الابتسامة التي كنت أكظمها احتراماً لألمها وتعاستها ، فإن الذئب الذي تشكوه كان صديقي ، وكنت أعهده حملا وديعاً يعيش في مرعى الزواج منذ شهرين ، ويطعم ، ناعم البال ، عشب الحب .

وسألتها وهي تبعد قطعة التنهد المتجمدة ، عن عينين جميلتين

كدرهما البكاء : « ماذا فعل الذئب ياسيدتى ؟ » قالت ، « إنه خائن . . يخوننى مع أخرى » .

— متأكدة أنت ؟

— تأكدى من أنى أراك أمامى . . إن رقم تليفونها مقيد فى مفكرته .

— إن أى زوج مهما بلغ به حب المخاطرة لا يجرؤ أن يضع فى مفكرته رقم تليفون ناعم . .

— نسيت أنه ذئب ماكر . . لقد رفع صمام القنبلة ، ذكر رقم التليفون وإلى جواره حرفان فقط هما س . م. وما أحسبك تزعم أن الرجال يرمزون إلى أسماء الرجال بهذه الطريقة .

— معك حق . . وبعد ذلك واجهته بالتهمة ؟

— تظننى بلهاء . . أواجهه بالتهمة لكى يأخذ حذره ويخفى معالم الجريمة . . ويهرب من انتقامى .

— وإذن فقد رسمت للانتقام خطة ؟

— بدأت بحرب الأعصاب . . إننى دائماً أطالبه بأن يذكر لى اسما جميلا لسيدة يبدأ بحرف س . . وأكرر هذا على الطعام ، وقبل النوم ، وعندما يفتح عينيه فى الصباح . . وتصور الدهاء ، إنه يبتسم ابتسامة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة وهو يسألنى بلا اكتراث ماذا أقصد بهذا السؤال الذى أسقيه له فى ساعات منتظمة وكأنه الدواء .

— يا له من دواء مر المذاق .

— بدأت غريمتى تتجرعه أيضاً . . أدرت النمرة التى ضبطتها فى

المفكرة ، وأجابني صوت رقيق أدركت أن رقته من الأسباب التي جذبت زوجي . . ومضيت أستدرجها وأسألها منذ متى بدأت علاقتها بحبيب القلب ، فشتمتني وأقفلت التليفون في وجهي .

— طبعاً . . . إن من تسرق الأزواج لا تتورع عن السباب .

— والسباب عقاب .. قلت لنفسي ربما يكون لهذا البيت رجل .. وجعلت أدير قرص التليفون مرات في اليوم حتى أجابني صوت خشن ، وبعد حوار قصير أدركت أنه الزوج ، وصارحته أن زوجته تخونه وسأل في لهفة : « مع من ؟ . . »

ووجدت نفسي أذكر له اسم زوجي وعنوان مكتبه ، وصارحته أن الدليل الحاسم موجود في مفكرته التي يحملها في جيبه .رقم التليفون المشئوم.

وانفجرت باكية ، وعاد المنديل الصغير إلى الاشتباك بأهدابها وهي تقول : « هذا هو السبب في أني استدعيتك ، أخاف أن يقتلوه . . إنه ذئب شرير ، ولكني أخاف أن يقتلوه » .

وبينما هي تكفكف دمعها بتلك السحابة الناعمة من التنهد التي تجمدت في الهواء فوجئنا بالذئب قادماً بادي الإعياء ورأسه مغلف بالقطن والشاش ، وقال وهو يتهالك في مقعده ، يرقب شحوب زوجته : « أولى بك أن تبتهجي فإنك كنت على وشك أن تصبحي أرملة على يدي مجنون كاد يودي بحياتي . . » .

وسألته عن جلية الأمر فأجاب ، وشبح الرعب يدب في عينيه : « صرفت المساعدين وبقيت وحدي في المكتب للدراسة بعض القضايا

كما أفعل أحياناً، ودق جرس الباب الخارجي فذهبت وفتحته .. وإذا فوهة مسدس مصوبة إلى صدري . . وقدرت أني أمام لص فاجر، وأخرجت في الحال حافظة نقودي أفدي بها حياتي . . ولكن الرجل الضخم ألقى الحافظة في وجهي ، وطلب مفكرتي وهو يدفعني إلى الداخل بلا هوادة . . وأمرني أن ألصق وجهي بالحائط رافعاً ذراعي ، وجلس يقلب أوراق المفكرة بأصابع محمومة ، ثم صاح فجأة كالنمر الضاري قائلا : "ثبتت عليك الجريمة"، فأدرت عنقي وسألته في أدب بالغ عن أي جريمة يتحدث ، فاندفع يطبع أنفي في الحائط وهو يزمجر حانقاً : " هذه نمرة تليفوني التي كنت تتحدث فيها إلى زوجتي مدونة في مفكرتك " .

وألهمني حب الحياة أن أصيح وهو موشك أن يضغط على الزناد : حذار .. إنها رقم ورقة يانصيب لا نمرة تليفون .. ألست ترى إلى جوارها حرفي س . م ، إنني أعني بهما . سباق المواساة . . وقد قيدت الرقم عندي لأن الورقة نفسها في حيازة صديق شاركني فيها .

وتطاير الشرر من عينيه ، وصرخ وهو يضرب رأسي بمؤخرة المسدس إنها أكذوبة أحتال بها على النجاة . . فشكرت له تلطفه أنه ضربني وأسال دمي بمؤخرة المسدس لافوهته ، وعمدت إلى التليفون ، وخاطبت الصديق الذي يحتفظ بالورقة ، والدم يسيل من رأسي ، متوسلا إليه أن يوافيني بها حالا . وإذا هو ينبئني أنه مزقها منذ ساعتين وهو جالس في بار الأنجلو ، بعد أن راجع السحب وعرف أنها خاسرة .

عند ذلك ضحك المجنون ضحكة صفراء وقال لي ، بلهجة من صح

عزمه على أمر : « اعترف بكل شيء قبل أن أزهق ر وحك . . وقل الحقيقة ولا تلق ربك بوجه أسود : « هل سرت معها إلى آخر الشوط » .

وانطلقت ، من حلاوة الروح ، أقسم بأغلظ الأيمان أنى برئ ، وسمح لى بعد لأى أن أعصب بمنديلى جرح رأسى ، ورضى أن يحقق دفاعى ويصحبنى إلى بار الأنجلو لكى نبحث فى القمامة عن الورقة الممزقة ، وأنذرنى أن يده ، وهو إلى جوارى ستكون طول الوقت على الزناد ، وأنه سيطلق النار فوراً إذا حدثتني النفس بالا ستغاثة ، أو الهرب . .

* * *

وبعد بحث ، محفوف بالخطر ، تحت مقاعد رصيف بار الأنجلو وجدت الورقة الممزقة ووجدت حياتى .

واستأذنت المجنون فى أن أذهب إلى طبيب لأضمد جرحى .

وسألت صاحبى المسكين ، وأنا أبتلع ابتسامة تريد أن تنزلق إلى شفتى : « ألم تستوضحه كيف اتفق له أن يعرف أن مفكرتك تحوى رقم تليفونه . » ؟

فأجاب : « هل تظن أن من الحكمة توجيه الأسئلة إلى مجنون يده على الزناد » ؟

قلت ونا أنظر إلى دموع التوسل فى عينى الزوجة : « على كل حال أن تقع بين يدى مجنون أسلم عقبى من أن تقع بين براثن مجنونة » .

وأجابت ، والتوسل ينتقل من عينها إلى ابتسامتها : « هذا حق . . وخاصة إذا كان جنونها . . مبعثه الحب . »

دموع .. في عيونٍ ضاحكة !



أيها الأستاذ العزيز

غاظنى منك أنك لم تتنبه إلى قدومى وأنا أدخل بار شبرد ، فقد كنت أحسب أن لك أذناً موسيقية تلتقط حفيف ثوبى الناعم . . ولو أن بك صمماً فكيف لم تنفذ رائحة عطرى الجذاب إلى أنفك . . ولو أنك مزكوم ، فما عذر عينيك ووجهى الجميل ينطبع على المرآة أمامك ؟! . .

ولكن غيظى ذهب عندما رأيتك تحدق فى كأسك . . قرأت فى ملامحك أنك لست موجوداً حيث تجلس . وأن بينك وبين نفسك عدة أميال ، وسألت فراستى عن سرك الحزين : هل أنت مدين تدق فى قلبه أجراس الإفلاس ؟ ! . . أم أنك عاشق طرده الحب من جنته ، ورحمته؟ أم قاتل نسى إلى جوار ضحيته بصمات أصابعه ، وبطاقته ! . .

وأردت أن أقطع الشك باليقين فوضعت يدى الحلوة — هكذا يقول عنها المعجبون — على كتفك . . وطلبت إليك ، فى حنان يذيب الصخر — وأنا ممثلة كبيرة كل العواطف طوع بنانها — أن تحكى لى عن همك الدفين . . وشد ما خاب ظنى عندما قلت لى أن سر كمدك أنك تبحث عبثاً عن موضوع قصة ، وأنك تحس أن رأسك

شبكة واسعة الثقوب لا تمسك شيئاً .

ولكنى حمدت الله أنك لست عاشقاً ، ولا مفلساً ، ولا قاتلا . . ويالك من مسكين ، فكيف تكون الكلمات عزيزة المنال . . إنى إذن أقوى منك أيها الرجل ، لقد حصلت مرة على شيك بخمسة آلاف جنيه من مقاول قطاع خاص ، على سبيل الاعتذار عن ظنه ، بأنى قطاع عام . ومرة طلبت من رجل متزن يعلم الفلسفة أن يستغنى عنى أو عن زوجة عاشرته عشرين سنة ، وأعطيته مهملة من الصباح إلى المساء ، فجاءنى فى الضحى وفى يمينه قسيمة الطلاق . . وأنت ! . . تعصاك الألفاظ ، ويركبك الهم ، من أجل قصة ! . .

وعدت إلى بيتى وما تزال فى عينى ملامحك الحزينة . ولاشك أنى ثملة ، فإننى أنظر إليك بحنان حقيقى . . وأشفاقى عليك يزداد فى كل دقيقة ، فإن هذه الكلمات التى أكتبها إليك أخذت منى حتى الآن ساعتين كاملتين . لقد بدأت أدرك أن الكتابة صعبة . . ولكن يجب أن أستمر . وأن أستغل ، مرة فى العمر ، مكتبى المصنوع من الأبنوس والصدف ، الذى أهداه لى أمير شرقى ، لكى أرسل منه ، على للورق ، آهات الغزل فى لحيته المدببة كلما غاب عن القاهرة . . على فكرة أنا لم أخلف وعدى له . . هو للذى أخل بالاتفاق ، ومات من ضربة الشمس ذات موسم من مواسم الحج .

أظنك بدأت تدرك أنى أحاول أن أساعدك وأسعفك بقصة ، ودعنى أعاتبك ، فإن القصة كانت إلى جوارك فى بار شبرد ، فى ثوبها الفاتن

وعطرها المسكر ، وحدقت فيك بعينيها الساحرتين ، وأشعلت لها سيجارتها . ولكنك لم تأبه بها .. كنت فى نظرك قصة قديمة معادة .. ممثلة اغراء مخلوقة تافهة لفتها الشاشة الفضية فى غلاف براق .. لها روح داخل جسمها الخلاب ولكن أى روح .. إنها أشبه بالخمر الرخيصة الرديئة فى كأس من الذهب !!

ولكن ليتك تدرك أن كل روح لها قيمتها .. وأن لها نفعاً ، فإن البنات الطيبات ينظرن إلينا ، ويتقربن إلى الله على حسابنا ، ويحمدنه أنهن لسن مثلنا .

أعرف هذا الشعور ، فقد كنت يوماً بنتاً طيبة طاهرة .. وكنت أنظر باشمئزاز إلى اللاتى ينحرف بهن السبيل . وإنى لأرانى وأنا فى الثامنة عشرة فى طريقى إلى مدرسة الراهبات ، لا أكاد أرفع عينى من الأرض حياء وخفراً ، وشعرى الأسود ينسدل على أفكارى البيضاء ، ويتدثر بقلنسوة زرقاء تخفيه عن العيون ، وتحت ذراعى حقيبة كتبى ، حبيبتى التى احتضنها دون أن ينظر إليه أحد شزراً . فقد كان جمالى الذى لم يكن لى فيه ذنب يخلق حولى جواً من الريبة .. للراهبات فى الفصل يحذرننا من الشيطان وعبثه بالقلوب وهن ينظرن إلى بالغات الشفقة ، وكأنه ليس فى الفصل سواى .. وينهرننى إذا رأيننى فى الفناء أتأبط ذراع صديقة ، هامسات فى هلع تشوبه الرقة إن هذا خطيئة ! ..

وأبى يسألنى عندما أعود إلى البيت ، وعينه الفاحصة تطوينى وتنشرنى : هل قطعت الطريق بسلام .. وهل كنت أمشى كالسيف ..

أم أني تلكأت ، وينظر إلى ساعته يحصى على الثوانى .. وكان بين المدرسة والبيت سير عشر دقائق ؛ فكنت أسأل نفسي ماذا أستطيعه من شر فى هذه الدقائق العشر . . وانتابنى ضرب من الخوف من الناس، ومن نفسي .

* * *

وكان بيتنا خالياً من البهجة .. فلم تكن فيه سيدة منذ ماتت أمى وأنا طفلة فى الثامنة .. وتولت شئونى مربية عجوز من الجنوب . . ولم يشأ أبي أن يضعني فى القسم الداخلي، قد يكون ذلك إمعاناً منه فى العطف على يتمى، أو لأنني كنت أخفف عنه ما يقاسيه من وحشة .. لعله لم يتزوج مرة أخرى من أجلي . . ولعله لم يفعل لأنه لم يسعد فى زواجه الأول ، فإن صوراً من الشجار العنيف بينهما ما تزال مطبوعة فى نفسي ، وما أزال أذكر دموعى وأنا أراهما يتشاتمان ويتخاصمان أياماً طويلة . .

وهل أقلع عن الشجار بعد موت أمى . . إن الخدم ، وحتى مربيتى لاتنجو من شتائمه . . وتسرّ إلىّ ، حين تأمن أنه لايسمعنا ، أنها ماتت من انكسار القلب .

ولم يقصر طبعه النكد على الخدم فقط ، بل تعداهم إلى خاصة الأقارب ، وكان يتفنن فى إسماعهم مالايحبون ، ويغلظ لهم فى المعاملة حتى لايعودوا ، فلما أصبحت شابة كنت قد نسيت وجوههم .

وكان لنا جيران لايعرفون باب بيتنا ، فإنه لم يكن يجامل أحداً فى

فرح أوحزن أو مرض . وكم حزّ فى نفسى أن أرى أحدهم ، وأنا مطلة من النافذة ، يشير إلى أبى وهو يمشى فى الطريق قائلا لصاحبه : « الغول ».

فإذا عرفت أنه كان يحظر على أن أرى صواحبى ، أو أن أزورهن ، أدركت ما هى الوحشة التى كانت تغلف حياتى .

وكان البيت يتوسط حديقة شاهقة الأسوار . وبعد ساعات المدرسة كنت أعود إليها كأنما أعود إلى السجن ، وأمشى بين أشجارها كاليمامة التائهة .

ثم يبسط عليها المساء جناحه القاتم ، ويستسلم الورق الأخضر للكآبة ، فأظل أواسيه وهو يغرق رويداً رويداً فى لجة الظلام . . ثم أنسحب إلى البيت العتيق .. وتأمرنى رائحة السيجار التى تستقبلنى أن أنعطف إلى اليمين وأدخل على أبى فى حجرة المكتبة ، حيث أقبع وكتابى فى حجرى ، أنتظر الساعة التى يعن له فيها أن يقوم لتناول العشاء .

وقد يضحك أبى ونحن فى جلستنا تلك . . ولكن ليس معى . . إن ضحكته القصيرة الخشنة تكون للسطور التى يطالعها .. ولكن ما أقل أن يكون هكذا ليّن العريكة .. الأغلب أن يشتم ، ويلقى الكتاب فى عنف وسخط ، وكأنه يودّ أن يضرب المؤلف .

وعلى العشاء يستمر فى سبابه للمؤلفين ، ويسميهم لصوص الوقت ، ويظهر أسفه لأنه لم يتمكن من حبس مؤلف فى جنحة أو جناية فى أثناء عمله فى البوليس .



نسيت أن أقول لك إنه كان من رجال الأمن ، وقد تقلب فى عدة مناصب فى وزارة الداخلية . ثم كلف بالاستقالة قبل أن يبلغ الخمسين ، بعد أن أحاطت به شبهة استعمال القسوة مع المتهمين فى قضية مشهورة ولم يؤذه ذلك ماديا ، فقد كانت له أرض جيدة موروثة تدر عليه مالا وفيراً . . ولكن الضرر الذى لحقه كان روحيا ، فقد وجد نفسه فجأة مجرداً من السلطة ، محروماً من النشاط الذى كان يستغرقه من الصباح الباكر إلى الليل المتأخر . ولزم البيت يمارس فى خدمه ، وفىّ أنا ابنته الوحيدة شهوة الأمر والنهى ، ويسترخى ساعات فى المكتبة ، يعض بأسنانه على سيجاره ويتحرش بالكتب والمؤلفين .

* * *

وبعد العشاء يخرج إلى رياضته المحببة ، السير على الأقدام حتى منتصف الليل . . فما يكاد يصفق وراءه باب الحديقة ، حتى تأوى مربيتى العجوز إلى فراشها ، وتظل خادمتى « نظاكة » معى فى غرفة المكتبة ، ريثما أفرغ من مراجعة دروسى .

وكانت « نظاكة » شابة صغيرة فى مثل عمرى ، تربت فى البيت منذ نعومة أظفارها . . وكانت سمراء رشيقة ، خفيفة الظل ، فى خديها غمازتان مفعمتان دائماً بالابتسام ، وعيناها لا تكفان أبداً عن الضحك . .

وما تكاد « نظاكة » تثق أن « الغول » قد ابتعد عن البيت حتى تقفل لى كتابى ، وتفض غلاف قلبها عن حكاياتها . . الحلوة ، فإن خروجها إلى السوق يتيح لها أن تعرف مالا أعرف . . وعندها نبأ كل

غرام يولد فى الحى . . وأنها لتروى لى بأسلوب شائق ، مغامرات الفتيات فى البيوت المجاورة ، وكيف يمشين متكئات على الصدور القوية الشابة ، وكيف تختلس القبلات الرقيقة فى الظلام ، فى مداخل البيوت ، عند العودة من النزهات الحارة الحالمة .

ما كان أحلى حديث الحب من شفتى « نظاكة » . . كنت أصغى إلى كلامها المرتجف المهموس ودمى يترنح فى عروقى ويخدرنى ، فأخرج إلى الحديقة كى ألتقط أنفاسى ، وأجوس خلالها وذراعى مشبوكة بذراعها ، نقشعر من الظلام ، ونستسيغه ؛ لأنه يزيدنا قرباً والتصاقاً . . كانت مثلى محرومة من الحب . وقد محا الحرمان ما بيننا من فوارق ، وعقد بيننا صداقة وثيقة . .

وجاءت ليلة اكتشفنا فيها أن كلتينا تعبد الأخرى . كان نور القمر يغمر الحديقة ، وارتميت على العشب ، وألقيت رأسى على ركبة « نظاكة » وأخذت أسمعها ما أحفظ من أشعار تتحدث عن عذابات الحب ، وقد صور لى الوهم أنى أرنو إلى عينى عاشق مفتون . .

وفوجئت بنظاكة تهوى على شفتى وتقتطع منهما قبلة نهمة ، وفوجئت بنفسى أضمها إلى صدرى بكل قواى ، وأتلاشى فى غيبوبة غريبة .

ومنذ تلك الليلة المقمرة لم يعد لى عن « نظاكة » غنى . . وكنا نتواعد كما يتواعد العشاق . . أتسلل من حجرة نومى ، ومن حراسة مربيتى ، بعد منتصف الليل ، وبعد أن يكون أبى قد أوى إلى فراشه فأوافى صاحبتى فى الحديقة . . نتناجى ، ونقاسى ما يقاسيه عبيد العاطفة

من صد وهجران . . فقد كان فى وسع « نظاكة » أن تخلف موعدى لتؤلمنى . . وكنت أجاوبها بالخصام ، لأمزق قلبها كما تمزق قلبى ! . .

وكنا نشترك فى الخوف العذب الناشئ من مخاطر المغامرة . . فما العمل لو تنبه البستانى الذى عودنا أن يغط فى غرفته فى آخر الحديقة . . وأين المفر لو كشف أبى أمرنا ! . .

وكان يركبنى من الفرض الأخير هم ثقيل .. إنه حرمنى ، خوفاً على خلقى أن يضار ، من السينما ، ومن الصواحب ، وكان يصادر كل مجلة تحوى صورة خليعة ..وإنى لأحتمل كل هذا الأذى على شرط ، أن تبقى لى « نظاكة » . ومجرد التصور أن أحرم منها كان يملأ عينى ، وقلبى ، بالدموع .

* * *

ولكنى حرمت منها .. كان ذلك على صورة لم أتوقعها ولا خطرت فى بالى .. وكان أبى قد خرج منذ نصف ساعة إلى نزهته الليلية . . وكان الطقس حارًّا ، والقمر غائباً ، والحديقة عمياء حالكة ، فارتمينا على العشب الندىّ نتبرد به ، وتوسدت نظاكه ذراعى وهى تحكى لى قصة حب عفيف رأتها فى السينما . . وإذا بنا نفاجأ بصرير باب الحديقة الحديدى ، فأدركنا ، فى لحظة بالغة الهول ، أنه للكلب « الولف » الذى يرافق أبى فى نزهاته ، وكنا نعرف طبعه ، إنه إذا اقترب من البيت سبق سيده إلى الباب ودفعه برأسه الضخم .. . وإذن فإن أبى قد قطع نزهته ، وإن هى إلا لحظات ثم يصبح فى الحديقة ، فانتفضت واقفة ،

وهمست نظاكة وهى تدفعنى إلى الأمام : « اسرعى واصعدى إلى فراشك » . . ووجدت نفسى أجرى وأدخل البيت .. وبدأت أصعد السلم ولكنى وجدت ركبتى ترتعشان ولا تقويان على حملى ، فهبطت الدرجات القليلة التى صعدتها وجنحت إلى حجرة المكتبة .

ووقفت فى ظلامها أرتجف ، يبللنى العرق ويغربلنى الخوف .. . ووصل إلى سمعى صوت أبى الجاف على السلم الصاعد من الحديقة . . إنه يتحدث إلى نظاكة . . وإذن فقد رآها . .

واقترب الصوت ونظاكة تقول له : «أحسست ياسيدى بحركة فى تقفيصة الدجاج . . وخشيت أن يكون قد هاجمها ذئب وجئت أستوثق من الأمر » .

فأدركت أنه كان يستجوبها . . وسمعته يقول لها والصوت يزداد اقتراباً : « إنك إذن شجاعة ولا تهابين الذئاب » .

ووجدت نفسى أثب فى غمضة عين ، وأقبع وراء الكنبة الكبيرة ، فإن الصوت دخل المكتبة .

ومن مكمنى رأيته على البصيص الخافت القادم من البهو ، ويده اليمنى على كتف نظاكة تكاد تطوقها .

وسألته الفتاة بصوت يرتعش : « هل أضىء النور ياسيدى »؟

وأجابها فى حدة : « لا . . لا أريد النور »

وكان صوته هو أيضاً . . يرتعش.. .

وكأن نظاكة أحست أن خطراً ما يتهددها ، فحاولت أن تبعد قبضته

عن كتفها وهى تنظر إلى الباب .. ففهم مغنى نظراتها وأسرع إلى الباب وأغلقه من الداخل .. وغرقت الحجرة فى الظلام . . ولاح لى فى وسط الحجرة شبح نظاكة وهى تنتفض وكأنها طير وقع فى الفخ . . وأقبل الشبح الآخر نحوها .. وهمس وقد تحول صوته الآمر إلى صوت خاضع يتوسل : « إنى أحبك منذ زمان . . وقد كنت أتجنبك وأهدئ بالسير الطويل كل ليلة ثائرتى . . ثم يرسلك إلى الشيطان فى هذه الليلة الملتهبة .. تعالى » .

وسمعتها تدفعه عن نفسها . . وتقول وهى تخر على قدميه :

« بربك يا سيدى » .

ولكن المقاومة أنهتها لطمة . . وأخذنى الإغماء . وأنا أسمع صوت قميصها يشق ويتمزق .

* * *

وأفقت على صوته الجاف وهو يأمرها بالانصراف إلى مخدعها . . وتلم التعسة ، فى صمت ، شعث شعرها ، وغلالتها ، وعرضها ، وتخرج خافضة الرأس دون أن تنبس بكلمة .

وخرج فى أثرها .

* * *

وفى الصباح جمعتنى بأبى مائدة الإفطار . . وكانت نظاكة تقوم على خدمتنا شاحبة خائرة القوى . . أما هو فلم يرفع عينيه عن جريدة الصباح ، وكان يمضغ طعامه بشهية ، وعلى مهل ، وكأن لم يحدث شئ ! .

وبعد خروجه سألتني بقلق : « هل رأيت أباك ليلة الأمس عند دخوله البيت» ؟

فأدركت أنها تريد أن تخفي الأمر عني . . وزعمت لها أني صعدت السلم وأويت إلى مخدعي . . وسألتها بدوري وأنا أحاول أن أضمها إلى صدري : « وأنت . . ماذا بك ؟ ! » .

فدفعتني عن نفسها في ذعر ونفور . . وقالت وهي تحبس دمعها وتفر هاربة : « لا شيء . . لا شيء » .

* * *

ومنذ تلك اللحظة أدركت أن حبنا مات وقبر . . وانقلب إدراكي إلى يقين عندما تبينت أن أبي صار يقطع نزهاته الليلية . . وكنت أسمع خطواته الحذرة على السلم ، فأعرف أن الذئب استمرأ المرعى . .

وغرقت في دوامة من المشاعر المريرة . . أبي أصبحت أضمر لكلبه من الحب ما لا أضمره له . وصرت أتخيل وأنا أشاركه الطعام أني أخطف السكين من المائدة وأغرسها في قلبه . . ونظاكة تتجنبني فتصور لي الضغينة أنها صارت تحس أنها سيدتي .. وأهم أن أتكلم وأصارحها باحتقاري ثم تخذلني الكآبة المقيمة في عينيها . . وأهرب إلى مخدعي كي أبكي بدموع لا يقاسمني فيها أحد .

* * *

وقالت لي دموعي وعزلتي الموحشة إن راحتي في الموت، وسرقت من البستاني سما قاتلا كان يطعمه لفيران الحديقة . وقررت أن أعاقب

بموتى أبى الملوث . . وصديقتى الخائنة . .

وذات ليلة ، بعد العشاء ، خرج أبى ليمارس نزهته الليلية الموهومة ووقفت فى نافذة المكتبة أرقب قوامه المديد وهو يبتعد . . كانت نظراتى تودعه . . فقد كانت تلك هى الليلة التى اخترتها لموتى .

ولكنه عاد فجأة ونادى البستانى فأسرع « حسن » إليه .. ودار بينهما الحديث تحت نافذتى .

قال له أبى : « أريد أن أزوجك نظاكة » .

وأجاب حسن ، فى حزم ، وعلى الفور : « لا ياسيدى . . إنها تذهب إلى السينما وتختلط بخدم الجيران » .

فصاح به : « أتعصانى ؟ ! » . .

واستجمع حسن شجاعته وأردف فى توسل : « ياسيدى . . إن هناك من يقول إن بطن « نظاكة » أكبر من بطون العذارى » .

وفى لمح البصر هوى أبى بكفه الثقيلة ، على وجه خادمه . . وصمد حسن للطمة الأولى . لكنه لم يحتمل المطر المنهمر . . وسقط على الأرض وأبى يعمل حذاءه فى وجهه وأحشائه . . وبعد أن تعب من الضرب وتلاحقت أنفاسه عدل عن نزهته . وصعد إلى حجرة نومه .

أما أنا فوقفت جامدة فى النافذة أراقب « حسن » وهو يزحف على بطنه وركبته إلى حجرته فى آخر الحديقة .

* * *

وانتصف الليل وأنا قابعة فى أحد مقاعد المكتبة منهوكة منهارة . . السم فى يدى . . وأنين « حسن » يصل إلى سمعى . . وخيل إلى أننا روحان شقيقتان تغادران الحياة فى وقت واحد . . وشاقنى أن أذهب إليه وأودعه .

وعندما دخلت عليه رأيته يمسك أحشاءه بيديه وكأنه يمسك بقية نفسه . . وجثوت إلى جواره . . ومزقت ياقة ثوبى وجعلت أمسح بها الدم المتجمد على جبينه . . .

وعصف « بحسن » التأثر ، وفوجئت به يلصق شفتيه بقدمى ، فلم أقاومه وأخذت أنظر إلى عينيه البراقتين الحزينتين وهما ترنحان تحت نظراتى .. وامتدت يدى لتستقر ملاطفة على رأسه .. وارتجفت شفتاه .. خيل إلى أنه يطلب أن أسقيه . . ولكنى بدلا من أن أسقيه . . قبلته .

وأحسست وأنا أفعل ذلك أن قبلة « نظاكة » لم تكن قبلة . وأن « حسن » وضع على شفتى جمرة متقدة . . ونسيت نفسى .

وعندما أفقت أيقنت أننى صرت « أحقر » من « نظاكة » . . فقد كانت هى مكرهة . . وكنت أنا راغبة .

وطلع الفجر على مخدعى وقد قر قرارى على الهروب مع « حسن » وعدت إليه وفى حقيبتى مجوهرات أمى . . ودفعت باب حجرته . . وناديته فى حنان ، ولكنه لم يستيقظ . . فقد كان ميتا .

* * *

وقال التشريح إنه نزيف داخلى . . وقال أبى إنه رأى « حسن »

يترنح فى الليل ... وأنه عرف منه أنه كان عائداً من شجار . . لا يعرف أين . .

وهممت أن أصرخ وأبوح بالحقيقة ؛ ولكن الصرخة احتبست فى حلقى .

* * *

ودخلت الفصل ككل يوم . . ولكننى أحسست أنه لم يعد لى فيه مكان . . وأن نظراتى تلوث وجوه الراهبات . . وهل من حق بعد أن أجلس إلى جوار بنت بريئة ليس لها أب مثل أبى ، وليست صحيفتها سوداء كصحيفتى ! . .

وفى آخر النهار لم أتخذ إلى البيت الطريق الذى يستغرق عشر دقائق . . مشيت هائمة على وجهى . . ولا حظت أن سيارة تتبعنى فتريثت . . وفتح لى بابها شاب أنيق . . وارتميت إلى جواره .

ولم أعد إلى البيت . . لم أعد أبداً . .

ولم ينجح أبى فى أن يجدنى . . فقد كنت جميلة . . ولم يكن من يعرفنى يقوى على بعادى .

* * *

ومات أبى بعد أعوام . . وبعد أن بدد ثروته نكاية بى ، وحرصاً منه ألا أرث شيئا .

مات وحيداً . . فإنه بعد هربى بقليل وجد « لنظاكة » زوجاً ولطفلتها أباً .

* * *

وأظنك تستطيع ، يارفيق كأسى ، أن تستنتج كيف أصبحت ممثلة كبيرة .

لكن الذى لا تعرفه هو الذى جعلنى أدخل البار الليلة وأسكر .

إن « نظاكة » وجدتنى . . وفاجأتنى بالزيارة . . وفى يدها طفلة . . ابنتها .

شكت لى من تقلبات الأيام . . إن زوجها تخلص منها بعد أن أذاقها الهوان . .

وسألتنى وهى تغض بصرها إلى الأرض إن كنت فى حاجة إلى خادمة فانها لا تدرى كيف تطعم الطفلة .

وفاضت دموعى وأنا أضم الطفلة إلى صدرى . . وقلت لنظاكة : « إنها تشبهنى . . وتشبهك » .

ولكنها تجاهلت الملاحظة . . . إنها ما تزال حريصة على إخفاء سرها . . وسر الرجل الذى رحل .

وهما الآن تنامان نوماً عميقاً . . فى غرفتى . . فما الذى يؤرقهما مثلى إلى مطلع الفجر .

* * *

أيها الأستاذ العزيز .

هل عرفت الآن أن القصة كانت إلى جوارك ، فى بار شبرد . . وأنها حدّقت فيك بعينيها الساحرتين . . وأنك أشعلت لها سيجارتها .

إذا كنت تصرّ على أنها قصة قديمة معادة ، فإن عندى أخرى . . وصبراً جميلا . . .

رحلة صيف ...



عاد حشمت أفندى من الديوان مكدوداً ، وتهالك على « الكنبة » الوحيدة فى الصالة ، وطرح طربوشه جانباً وألقى رأسه إلى الوراء كى يلتصق بالحائط ويحس رطوبته ويبترد بها . كان يجد فى هذا لذة بعد شقاء الديوان . . . إنه كاتب حسابات ، والأرقام من الصباح إلى الظهر تطن فى رأسه ، وتلف وتدور ، وتصعد وتهبط ، ومن فرط الإعياء يخال وهو عائد إلى البيت أنه يمشى على رأسه . . وأنه من طول ارتطامه « بأسفلت » الطريق تورم والتهب . . وكان يعالج الورم والالتهاب برطوبة الحائط الواقع وراء « الكنبة ».

ولأنه كان يمشى على رأسه وقدماه إلى فوق ، لم يكن يرى الثقوب فى نعل الحذاء ، وشغل عنها وعن كل الثقوب التى تملأ حياته بالنظر إلى الأرض القريبة من مستوى بصره .. أرض الدرجة السابعة التى . . ظفر بها بعد معركة مع أرقام الديوان احتدمت طوال . . ربع قرن .

كان للمعركة المريرة غبار غطى على بصره ، وإصابه بنعمة الرضا .. وتسربت أعوامه فى حلم تافه طويل من البؤس والإقلال مشى فيه كالنائم . . ولم يكن يؤذيه أن يرفع إلى شفتيه كأس القناعة لينتشى من خمرها الغثة المغشوشة ، ويتأمل بلا ملل الصدأ يعلو جدرانها

المتأ كلة ، وكأنه يتأمل بريق الماس . . وهكذا يعود بسهولة إلى الغيبوبة التى تلتهم حياته ويستغنى عن كراهية الذين خطفوا منه أدواره فى الترقية ، بمخالب الشفاعة ، وينسى فى صفح جميل . أسماء أقرانه الذين سمنوا من الرشاوى واقتنوا العقار ويقبل بلا تذمر أكداس الأوراق التى يتخلص منها زملاؤه الكسالى بل يحس شيئاً من الزهو عندما يقولون له متملقين إنه « شيال » الحمول . . « وبغل » الديوان !

وقالت فهيمة لزوجها بغل الديوان ، وهى تضع فتة الكوارع على المائدة : « اسمع ياحشمت . . سأرسل البنتين لتمضيا الصيف فى الإسكندرية .. بعد إذنك .

ورفع حشمت رأسه عن الحائط البارد وضحك . وأجابها وهو يضع القبقاب فى قدميه وينهض نحو فتة الكوارع : « نكتة مليحة . . ولماذا لا ترسلينهما إلى سويسرا . . الإسكندرية لا تليق بالمقام » .

وأجابته وهى تداعب سلوك النظارة الفضية الموثقة بأذنيه ، كدأبها كلما أرادت استمالته : «المسألة جد، سعاد مصممة أن تأخذ هما معها .. ستكونان فى ضيافتها » .

* * *

وكانت سعاد تقيم فى الشقة المقابلة ، وكان زوج سعاد من زملاء حشمت فى البأساء . . موظف مثله فى بئر السلم . . كانا يتقاسمان الحمول، وقنينة النبيذ الأحمر ،وورقة النصيب التى يشتريانها فى الحانة . وفجأة ارتفع زوج سعاد من القاع إلى القمة . . وكانت زوجته هى

« الأسانسير » الذى صعد به فى غمضة عين . . وحاشا أن يكون ذلك على حساب الشرف .. كل ماهنالك أنها كانت تمت بصلة القرابة للوزير الجديد .

وانتقل زوج سعاد إلى فيلا جميلة . . ولم يتنكر لزميل السنين العجاف . . وذهب « بغل » الديوان إلى الفيلا ورأى البار الجذاب ومراياه الباهرة ، يتلألأ على سطحها بريق المجوهرات التى تتزين بها سعاد .. ورأى اللهب المستطاب المندلع من بلور النجف الكبير ، يترامى ويرقص على وجنات الكئوس ، وشاهد الوسكى يتدفق من الزجاجات جميلا أشقر عذب المذاق . . وشارك زوج سعاد فى توجيه السباب إلى النبيذ الأحمر والحانة العفنة .

وليس هذا آخر الكرم . . ها هى ذى سعاد تدعو بنات حشمت أفندى لتمضية الصيف فى شقة أخيها فى الإسكندرية .

* * *

وبدأ الاقتراح لحشمت لأول وهلة غريباً . إنه لم يفارق بنتيه من قبل . . ناهد الآن فى الثامنة عشرة . . ونوال تصغرها بعامين . . لم تغيبا عن عينيه أبداً . . كانتا كل أولاده . . وكل قلبه . . ناهد نصف القلب ونوال النصف الآخر . . وأمهما فى الوسط . . إنها حبة الفؤاد . . إنه ليفخر إنه بغل الديوان ولكن مفخرته الكبرى إنه زوج فهيمة . . المرأة التى ولدت له بنتين ومع ذلك ظلت صبية تضارعهما فتنة وشباباً .

وأفاق حشمت على صوت فهيمة تسأله من جديد : « لم تقل لى

رأيك فى سفر البنتين ؟» .. ووقفت ملعقة « الفتة» التى كانت فى الطريق إلى فمه، وقال وهو يتأمل وجهها الصبيح : « أنا خائف .. إنهما فى سن خطرة » . .

وأجابت ، ويدها البضة الطرية تعبث بسلك النضارة الفضى : « وتدعى أنك كاتب حسابات. اعقلها وستجد أنها حسبة رابحة .. إن سعاد هى بنت خالة الوزير ، وسيسهر عندها فى الإسكندرية ، وسيرى البنتين و يعطف عليهما . . وتسنح الفرصة لفتح موضوعك وطلب إنصافك . . ثم إنهما ستكونان مع سعاد فى ضيافة شقيقها . . وهو سكرتير الوزير . . وهو أعزب . . أفهمنى » .

وصاح : « لا . . لا أريد أن أفهمك . . أنا فى هذه الأمور بغل عنيد » .

* * *

وفى هذه اللحظة سمع على باب الشقة نقر حلو . وعرف أن بنتيه وصلتا من المدرسة . . وطالعته والباب يتفتح ابتسامتان باهتتان . . وأربع ضفائر من الشعر الغزير الأسود، وفى كل ضفيرة شريط أبيض كأنه زهره الياسمين تضىء فى الليل الحالك . . ولدغ ضميره الشحوب الذى يمشى فى خدودهما . . إنه سوء التغذية . . والهواء الراكد فى الشقة المطمورة فى آخر الزقاق . . وإنهاك المشى من المدرسة البعيدة إلى البيت توفيراً لأجر الترام . .

ووجد حشمت نفسه يقول ،والفتاتان تجلسان إلى المائدة : « إنكما

ستسافران إلى الإسكندرية . . ولكن أمكما ستسافر معكما » .

* * *

وأطلت فهيمة من نافذة القطار لتودع زوجها الواقف على الرصيف وهمس فى أذنها : « حافظى على البنتين وافتحى عينيك جيداً » . . وهمست فى أذنه : « التعرف بسكرتير وزير فرصة لاتسنح كل يوم . . أطمئن . . قلبى يحدثنى أنى سأعود بغير ناهد أو بغير نوال » .

وتحرك القطار . . وأنبثقت فى عينه دمعة ، ونفسه تبارك فهيمة التى تريد أن تكون حماة وجدّة وهى فى عز شبابها . . وسالت الدموع على خده والضفائر الأربع وأشرطتها البيضاء تبتعد ، هى والوجوه الشاحبة الحلوة . .

وتحول إلى باب الخروج وهو يشكر الحظ الذى ساعده على أن يقترض ويركبهن الدرجة الثانية التى لم يركبها أبداً فى حياته .

ووصلن إلى الإسكندرية لأول مرة فى حياتهن . وفى المحطة كان ينتظرهن سكرتير الوزير شقيق سعاد .

وحملتهن سيارته إلى الشقة الأنيقة . . وجاء المساء فأخذهن إلى إحدى صالات الموسيقى ، وذعرن عندما رأين الرجال يخاصرون النساء على أنغام الرقص . ولكنهن عندما رأين فى الصباح المتجردات من الثياب والمنبطحات على صدر الرمال تحت أقدام الغادين والرائحين غفرن لراقصات الليل فعلتهن الشنعاء . .

* * *

وبعد أيام كفت فهيمة وبنتاها عن مهاجمة المايوه واستنكار الرقص .

وبدأ السكرتير الوسيم يقلع عن ضيقه بهن .

وذات مساء قالت سعاد لضيفتها : « البيت بيتكن . . أنا ذاهبة لأقيم أسبوعاً عند ابن خالتى الوزير ، ولكن أخى محسن سيكون معكن ولن يترككن دقيقة واحدة » .

وبعد ذهاب سعاد وضع محسن على المائدة زجاجة خمر فاخرة وأربع كؤوس . . ورمقته فهيمة بنظرة نارية وهى تنحى الكؤوس ، وقالت فى حزم : « إننا لم تذق الخمر ولن نذوقها أبداً » .

ونحى محسن الزجاجة جانباً .. وتجاهل فى ألم الرغبة الكظيمة فى عيون ناهد ونوال ، والظمأ المحترق فى شفاههن الوردية .

وبدأ أمله فى أن تكون الحياة مع الإناث الثلاثة « مسلية » يخيب . ولكن عز عليه أن يستسلم لليأس ، ودس بين أسطوانات أم كلثوم التى كان يدور بها « الجرامافون » كل ليلة أسطوانات الرقص .. وهمس ذات مرة فى أذن الأم وهو يشير إلى أقدام الفتاتين التى لا تستقر على حال من القلق : « ما رأيك فى أن أعلمهما الرقص » ؟

ورفضت الأم الحريصة فى إصرار ، ولم تعبأ بالتوسل الذى يبلل أهداب الفتاتين .

* * *

ومع ذلك قرر محسن أن يقوم بالمحاولة الأخيرة . . اشترى ثلاثة

مايوهات ، وفاجأهن بها ، هو يقول ضارعا : « ما فائدة الإسكندرية إذا لم تغمس أجسامكن الحلوة في الماء المالح ، ولو مرة » .

واغرورقت الرغبة في عيون ناهد ونوال مع دموعهما ، وصاحت وهي ترمق المايوهات بنظرة شزراء : « ويرى الناس بناتي عاريات . . يا للعار » واحمر محسن خجلا وغيظًا . . وأكد لها أنه لم يقصد أبداً إهانة الفضيلة ومكارم الأخلاق .

وفي ذلك النهار جلست ناهد وأختها نوال تحت الشمسية حزينتين كاسفتين . . ولمح محسن في مآقيهما نظرات الكمدوهما ترقبان المستحمات . وثار وهو يثب على قدميه وصاح في غضب : « فليسقط الظلم ... أنا ذاهب إلى البيت لأقنع فهيمة هانم أنها متعسفة . . أنا متأكد أني سأقنعها وسأعود بالمايوهات » .

وعندما وضع المفتاح في باب الشقة وصل إلى سمعه صوت موسيقى . . إنه « الجرامافون » يرفع عقيرته بنغمة راقصة . . ودفع الباب في رفق . . وأخذ نظره ، أول ما أخذ ، زجاجة الوسكي وقد مشت من مكانها إلى المائدة وفقدت من قوامها ثلاثة قراريط ، ودهش : من هو الضيف الثقيل الذي سمح لنفسه أن يفسد على فهيمة هانم هدوءها وعزلتها . . وجالت عيناه في الحجرات . . لا ضيف هناك . . لم يبق إلا مخدع فهيمة . . الباب نصف مفتوح . . فليسترق نظرة إلى الداخل . . وحبس أنفاسه . . وتصبب جبينه عرقًا . . وجحظت عيناه . . إن فهيمة في المايوه الأحمر . .

وفى يدها كأس تتمايل وتتثنى محاولة أن تطيع نغمات «الجرامافون» طاعة عمياء .

وصفـّر محسن وقد تملكه الإعجاب بقوامها المشوق . . ولحمها الوردى .

وسقطت الكأس من يدها . . وأسرعت تخفى وجهها بين راحتيها .

وأسرع إلى الارتماء عند قدميها ضارعاً : « ما الضرر فى أن أرى جمالك الجبار . . إن الحسان تحملق فيهن على الشاطئ آلاف العيون ، وأنا واحد » وانهال على قدميها يقبلهما . . .

* * *

وطال انتظار ناهد ونوال تحت الشمسية . وأخيراً عاد محسن ليقول لهما إنه اقتنع بوجهة نظر فهيمة هانم .

وفى اليوم التالى لم ترافق أيضـًا ابنتيها إلى الشاطئ فإنها كانت تريد أن تجرب المايوه الأصفر .

وفى هذه المرة مشت زجاجة الوسكى إلى المخدع ، ووقفت إلى جوارها كأسان تتناجيان .

وعند عودة الفتاتين إلى البيت فى اليوم الثالث لم تكن أمهما هناك ، ولا حقيبتها . ووجدتا بدلا منها ورقة وداع فيها كلمات قليلة حاسمة :
« اطلبا من أبيكما أن ينسانى وسامحانى » .

وضرب محسن كفًّا بكف . . وقاد حملة البحث عنها . . بحث

عنها فى كل مكان فى الإسكندرية . . إلا المكان الذى اتخذاه وكراً لغرامهما .

* * *

ووصل قطار الليل إلى القاهرة ولفظ فتاتين كانتا تريدان أن تستترا بالظلام . . وأخذتا طريقهما إلى الشقة القائمة فى قاع الزقاق . . وعندما دفعتا الباب ، وقع بصرهما على رجل يجلس على « الكنبة » ورأسه ذاهب إلى الوراء ليبترد برطوبة الجدار . . رجل ظل يمشى على رأسه طول حياته .. وقال وهو يخفى بكفه المضطربة دمعة سقطت على شاربه : « سامحانى ، لم أقو على انتظاركما . قالت لى أمكما إنها قد تعود بغير ناهد أو بغير نوال . . لكننى لم أتوقع أبداً أن تعودا بدونها » .

وأغمض عينيه ليخفى عن بنتيه بقية دموعه .

وأسرعتا إلى صدره وهما تجهشان بالبكاء ، وقالت له قبلاتهما الذليلة : « سامحنا . . لولانا ما كانت تلك الرحلة المشئومة » .

لكنه لم يفتح عينيه ولم يبد عليه أنه سمع ما تقولان . . . وترك رأسه مكانه المفضل عند الحائط ، وسقط على كتفه .

وأدركتا أن أباهما سئم إلى الأبد الجدال . . والأمل . . والألم . . وأنه بدأ هو الآخر رحلته . .

عاصم بك .. نائب محترم!



لم يطرأ على تلك الحارة ، كما لم يطرأ على الحى كله شيء جديد ، منذ عشرات الأعوام .. إن أحياء كثيرة فى القاهرة قد تبرجت ، وبدت فى أزياء أوربية شائقة . لكن تلك الناحية من المدينة لم تخلع الثياب القذرة التى كانت ترتديها فى عهد المماليك .

كما يوجد موظفون منسيون توجد أيضاً فى العاصمة شوارع منسية من مصلحة التنظيم . . شوارع ضيقة غير مرصوفة ، تتفرع منها أزقة ملتوية مظلمة غنية بالتراب .

التراب الذى تسقيه النساء الفقيرات بمياه الغسيل الزرقاء، وبالأقذار المتخلفة من تنظيف السمك والطيور .

إنهن يحاولن أن يهدئن ثائرة ذلك التراب الذى يتمرد فى الصيف .. وأن يتخلصن من لهب الشمس فى ساعة القيلولة .. فتستحيل الحارة إلى مستنقع تتصاعد منه أفظع الروائح ، عندما يتلظى حر الظهيرة فى تلك المعاجن ، ويبدأ ذلك الماء الملعون فى التبخر .

وكان « عم على » يقطن إحدى حوارى الحى .. عاش ثلاثة أرباع حياته جالساً فيه وأمامه قفص من الليمون ، يفتح عينيه الثقيلتين من

الهرم وينادى على «البنزهير» كلما سمع صدى خطوات عابر سبيل تقرع الطريق .

كأن الزمن نفسه ملّ البقاء هنا ، وبعض البيوت المسنة قد تعبت وارتمت على الأرض ، أحبت أن تنقلب على جنبها الآخر .. أما عم على فباق كما كان منذ أعوام وأعوام .. إنه فى فم الحارة الناب العتيق الأزرق الباقى دائماً أبداً .

لم تكن له مطامع .. لم يعد الفقر يخيفه بعيد .. لا سلطان للحياة الآن عليه ، لأنها لا تستطيع أن تؤذيه أكثر مما آذته .. لم تكن له آمال يمكن أن تنتزع منه .. إنه يستطيع أن يجد الرغيف ، وطبق الفول ، وقطعة الجبن ، وقد كان قانعاً بذلك .. ونسى اللحم وأكله ...

كما نسى أشياء أخرى كثيرة .. بدأ منذ بعيد يفقد شيئاً فشيئاً الشعور القوى بالذات وبالوجود ، الذى يدفعنا إلى طلب الأشياء التى تنقصنا .. كأن حواسه الخمس نفسها قدسئمت عملها وجنحت إلى التبلد .. إنه لا يحقد الآن على مرضه ، كما لا يحقد على فقره .. فى البداية كان يشكو من السعال .. أما وقد أقامت النزلة الشعبية فى صدره أعواماً وأعواماً فإنه يرضخ لعذابه فى استسلام .. حتى كأنه لم بعد يذكر أنه يتألم ... ولقد ألف أن يحمل كبده المريضة ، وتدرّب على احتمال الأوجاع والمكاره ، كما يتدرب فقراء الهنود على التهام الزجاج ، وابتلاع الثعابين ، والنوم فوق المسامير .

* * *

لا قيمة للمستقبل ، ولا للماضى ، فى نظر عم على . لم يأسف ... إنه دفن منذ أعوام زوجاته الثلاث واستراح من الشجار . أحياناً يلتقى بأولاده مصادفة ... فقط . . كانوا ينفصلون عنه بعد أن يكبروا كما تنفصل القطة عن أمها بعد الرضاع . أحدهم الآن يشتغل بسلخ الجلود فى المذبح ، والآخر يبيع الحص على عربة يد ، والثالث ذهب إلى « العسكرية » وأصبح جنديًّا ، والرابع فقط هو الذى لم يكن موفقاً ، فإنه بعد أن اشتغل بائعاً سريحاً فى العتبة ، يكسب خبزه بعرق جبينه التقطته إحدى جماعات النشل ودربته على السرقة . وقد زاره مرات ونفحه بقروش كثيرة ، ثم انقطعت أخباره ... ثم سمع أن الأمر انتهى به إلى إصلاحية الأحداث .

* * *

أقبلت على عم على ذات صباح فتاة « تتقصع » فى ملاءتها . وانحنت على قفص الليمون ، وبدأت تساوم وهى « تطرقع » بين شدقيها فصاً من اللبان .

وأخذ عم على يحدق فى يدها الجميلة المصبوغة بالحناء ، وقد ذكرته هذه اليد « وطرقعة » اللادن ، بإحدى زوجاته فى يوم « الصباحية » وبهناء كبير ذاقه ذات ليلة . منذ عشرين سنة . وهذه الذكرى وحدها هى التى جعلته يصبر طويلا على تقليبها الليمون .

ثم يختلفان فى السعر ، فتصر الحسناء وتمضى لسبيلها ، فيناديها قبل أن تبعد . إن قلبه يغلبه ، إنه لا يريد أن يغضبها ، فإنها تذكره بهناء]

ذاقه منذ عشرين سنة .

وبينما كانت الفتاة تقلب الليمون للمرة الثانية وقفت سيارة أنيقة على مقربة من عم على ، ونزل منها سيد مهيب .

ووقف السيد المهيب يرقب عملية الشراء ، وذهبت « زنوبة » بعد أن ألقت فى كف الرجل مليما .

ومصمص « عاصم بك » ثم قال متحسراً : « الناس فى هذه الأيام قد خلت قلوبهم من الرحمة ياعم ، ياعم ، ما اسمك ؟ » .

— اسمى على ..

— يا عم على . لم يعد يوجد من يرحم الفقير .

ومضى عاصم بك يجاذب بائع الليمون أطراف الحديث حتى انتهى إلى القول : « إذن فأنت تجلس طول النهار لتكسب قرشين اثنين . لا ، لا . هذا ظلم كبير ، سأعمل بكل قواى على رفعه ، أنا من أنصار الديمقراطية ؛ أنت تعرف أن الانتخابات قادمة . وأرجو أن تعطينى صوتك لكى أدخل مجلس النواب ، وأكون محاميك هناك . أتكلم باسمك وأطالب الحكومة بحقوقك » .

غمغم عم على متعجباً : « الانتخابات قادمة ؟ » .

وأجاب عاصم بك : « نعم . إن الشعب سيستفتى من جديد ليختار ممثليه . وأنا فى حاجة إلى صوتك . إلى ثقتك ، يا عم على » .

ولم يسمع عم على العبارة الأخيرة ، لأن ذاكرته قد ارتدت إلى الماضى ؛ وأخذ يمشط شعر لحيته الناصل بأصابعه اليابسة . الانتخابات قادمة ..

إن ذلك قد حدث من قبل منذ أعوام . لكنه لم يعن بأن يذهب ويعطى صوته ، وقنع بأن يسمع قصص الذين ذهبوا وجاءوا . لقد عادوا وفى عيونهم نظرات ذليلة . لقد ضربهم رجال الإدارة لأنهم أرادوا أن يناصروا خصوم الوزارة . كان العائدون يضحكون فى حين يمشى فى عيونهم شبح البكاء ، وهم يذكرون ظهورهم الملوثة بالطباشير . إن ذلك الجير الأبيض كان علامة العقاب للمذنب .

وفى تلك المرة سمعهم عم على يتناقشون فى سعر الأصوات . كان ذلك السعر يرتفع وينخفض ، وكم حدث فى السوق من تقلبات!

* * *

ولما طال صمت عم على تململ عاصم بك فى وقفته وقال : « ما رأيك يا عم على ؟ » .

— لا أكذب عليك يا سعادة البك . الله يغنيك عن صوتى . ليس فى نيتى أن أذهب . أنا رجل كبير لا أحتمل الضرب ولا الإهانة فى القسم .

فضحك عاصم بك وقال للرجل ملاطفاً :

— لن يكون هناك ضرب يا عم على . الانتخابات هذه المرة حرة .

حك عم على ذقنه حائراً وقال :

— ولكن ما فائدة كل هذا .. لماذا تتعب الحكومة نفسها . إن الانتخابات لا يمكن أن تمر بغير شجار .

— للانتخابات فوائد عظيمة يا عم على . فإنكم بعد أن تختارونا

نذهب إلى مجلس النواب ونقول للحكومة : أنت أخطأت ، وأنت أصبت . الشعب يريد كذا وكذا . ولا يريد كذا وكذا.

وهكذا يحكم الشعب نفسه بنفسه .

— أنا رجلي في القبر يا سعادة البك . ولا أريد شيئاً . الحكومة لا تستطيع أن تصنع شيئاً لأجلي .. دعني وشأني .

— أنت رجل طيب يا عم علي . كيف تقول ذلك ؟ .. هناك أشياء كثيرة تستطيع الحكومة أن تقوم بها . سأخدمك بكل قواي عندما أصبح نائباً عنك . إن من حقك أن تحصل على شيخوخة مريحة . إنك كبرت ، ولا يصح أن تشتغل وتشقى . سأعمل على أن تقرر الحكومة لك ولأمثالك إعانة تعيش منها . وهذه الحارة المتربة يجب أن ترصف ويدخل فيها النور الكهربائي. سأشد أذن مصلحة التنظيم ؛ وهذه البيوت المتهدمة لا تليق لسكنى الآدميين . سأطالب ببناء مساكن جديدة نظيفة للعمال والفقراء ، مساكن مزودة بالماء والكهرباء .

— بيتي أنا .. يزود بالماء والكهرباء ، أنا رجل غلبان يا سعادة البك ، لا تسخر مني .

— إني لا أمزح ، أنت لا تفهم حقوقك . أقسم لك إن هذا سيحدث أتدفع ضرائب ؟

قاطعه علي متوجعاً.

— نعم . العوائد مربوطة على بيتي .

— يجب يا عم على أن تعطينا الحكومة منافع مقابل المبالغ التى تحصلها. سنطالب بإصلاح كل هذه الأحوال . أتسعل منذ بعيد يا عم على ؟

— منذ سنين .

— الحكومة يجب أن تتولى علاجك ، المستشفيات يجب أن تفتح مجاناً .

دعك يابك من مستشفيات البلاش . لقد ذهبت إلى إحداها ذات مرة فلم ألق من « التورجى » إلا الإهانة ، وقال لى الطبيب إنها نزلة مزمنة .. وإن العلاج السريع فى المستشفى لا ينفع ، وطلب منى أن أذهب إليه فى العيادة ، فذهبت ، وهناك أراد أن « يقاولنى » . ولم ير وجهى بعد ذلك طبعاً .

أنا رجل على الله .

فضرب عاصم بك كفاً بكف ، واستعاذ بالله من أولاد الحرام ووجه أقبح السباب إلى الظلم والظالمين ، ونثر بين يدى ناخبه العزيز كنانة الإصلاحات التى يفكر فيها ، والحملات التى يتأهب لها فى المجلس .

وأخذ عم على يصغى إلى حديثه الحماسى ، وقد تفتحت فى نفسه من جديد ينابيع الأمل التى انهارت فوقها منذ بعيد حياته الشقية ، أحب الحياة التى وصفها عاصم بك له ، وحلا له أن يفكر فيها . الحارة سترصف وتضاء . المساكن ستبنى على حساب الحكومة . الميرى سيوزع الأرزاق والأقوات ، ويعين العمال العاطلين ، وسيمنح العلاج

والدواء مجاناً ، حقيقة لا مجازاً ؛ وسيسعى النائب المحترم ليخرج ابنه من إصلاحية الأحداث .

ما أجمل هذا !

ومر عاصم بك بناخبه العزيز بعد ذلك بضع مرات . وكان عم على يشعر بسرور كبير لأن البك صاحب السيارة السوداء اللامعة يتواضع ويتحدث إليه حديث الصديق إلى الصديق .

* * *

وجاء المرشح الآخر فأدار عم على له ظهره . قال له هذا المرشح الآخر إذا كان عاصم بك قد دفع لك ريالاً فإنى أدفع لك جنيهاً . فبصق على على الأرض اشمئزازاً .. وأجاب فى جفاء وهو يضع فى فمه مضغة الطباق : « قل هذا لغيرى .. ولا تغرك ثيابى الممزقة . أنا أعطيت كلمة شرف » .

* * *

وجاء اليوم المشهود . وارتدى عم على جلبابه الذى يحتفظ به للمناسبات الخطيرة : ولف على طاقيته شاشاً نظيفاً وتوجه إلى مقر اللجنة .

ووقف على قدميه من الشروق إلى الغروب حتى استطاع أخيراً أن يدخل ويؤدى واجبه .

وعند منتصف الليل عاد ضاحك الأسارير .. إن عاصم بك قد نجح .

لقد استخفته الحماسة ووجد نفسه يهتف : « يحيا عاصم بك .

ويحيا الثبات على المبدأ » .

إن نور القمر الذى يمشى الآن على هداه عائداً إلى بيته ينير له أيضاً الآمال الجديدة التى علمه عاصم بك أن ينتظرها .. إنه يرى الشارع مرصوفاً بالأسفلت ، ويرى عربة الرش تمر فى الحارة ، ويرى حنفية عامة فى وسط الميدان توزع الماء مجاناً على الجميع .. هذا مؤقتاً إلى أن تشيد الحكومة بيته ، وتوصل إليه المواسير والنور ، وتجعله مكاناً لائقاً بأن يحيا فيه إنسان يوحد الله .

* * *

ومضت أيام .. ولم تعد سيارة عاصم بك السوداء اللامعة تظهر فى الحى .

ثم مضت الأسابيع .. ولم يأت الكناسون إلى الشارع ، ولم يوزع الماء بالمجان .

* * *

وذات يوم تغير عسكرى الداورية وجاء إلى المنطقة عسكرى جديد .

وأعجب الجندى الهمام بليمون عم على . كان ينتقى كل يوم عشر ليمونات يختارها بعناية ويبحث فى جيوبه عن فكة .. ولا يجد .. ويرجئ الحساب إلى الغد . وتكرر اختيار « الشاويش سويلم » لأجود الليمون ، ولم يحدث أبداً أن وجد فى جيبه فكة .

ثم رفع « الشاويش سويلم » التكليف ، ولم يعد يكلف نفسه مشقة البحث فى جيوبه .

ونفد صبر عم على ، فانفجر ذات ليلة وسويلم يضع الليمون فى جيبه : « أتظن أنى آتى به من حديقتنا . إنى رجل على باب الله » .

فألقى سويلم بالليمون حانقاً ، ومضى بعد أن رمقه بنظرة احتقار .

ومنذ تلك الليلة تنكر له ، وبدأ يطبق على الشيخ المسكين لوائح التنظيم والمرور وتعليمات المحافظة ضد الباعة الجائلين ..

— يا عجوز النحس إنك تخالف اللوائح.. الجلوس فى الطريق ممنوع .

— يا عجوز النحس .. أتريد أن تسرق الحكومة . أين رخصتك .

من يدرى ؟ ربما تكون لصاً ، أو شيخ منصر ، أو تاجر مخدرات .

وأشعل الغضب النار فى عروق الشيخ اليابسة ، واحترق كل ما فيها من الخوف والحذر ، وصاح : « يا ظالم .. فلتأكل بعضك . النهب كان زمان . فى البلد حكومة وبرلمان . لسنا فى أيام قراقوش ! »

وصوب الشاويش مقدمة حذائه إلى جنب الشيخ ودفعها بين ضلوعه . وبينما كان عم على يصرخ من شدة الألم كان الشاويش يزمجر : « ما شاء الله ! أتهددنى ؟ هل مقامك من مقامى ؟ سأجعل السجن مأواك » .

وأجاب الشيخ منفعلا ساخراً: « أتظن أن الدنيا فوضى .هذا شنبى أحلقه إن لم أربيك »

من أين استمد علىّ تلك الجرأة .. وتلك القدرة على التهديد .. إنه تذكر صديقه .. نائب الدائرة .

وبات ليلته مؤرقاً يتحسس بأصابعه الراجفة مكان حافة الحذاء بين ضلعيه .

وارتدى فى الصباح ذلك الجلباب الذى يحتفظ به للمناسبات الخطيرة .

* * *

واستطاع أن يصل فى الظهر إلى مجلس النواب ، وضحك الحجّاب من المتسول الذى يدب على عصاه ويسأل بجرأة عن عاصم بك .

ثم رق أحدهم له ، ودله على عنوان البيت فى الزمالك .

إنه عاش كل هذه السنين ، لكنه لم يمر بهذه الشوارع الكبيرة إلا مرات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة .

كان يرفع بصره الكليل إلى العمارات الشاهقة ، والقصور الجميلة ، والحدائق ، بعينين مفعمتين إعجاباً ودهشة . كان يسير فى حلم جميل . أتكون الجنة يا ترى حلوة هكذا ؟ .. يا للنعيم الذى يعيش فيه هؤلاء الأغنياء !

ووصل إلى الفيلا الأنيقة التى يقيم فيها النائب المحترم .

لم يكن البواب رجلا دمث الطبع . أحنقه أن يسأل هذا الصعلوك عن البك . وقال وهو يغمره بنظرة ازدراء .

— ماذا تريد من البك ؟

— قل له .. عم علىّ ..

— يا سلام يا عم على .. يعنى صاحبه . طيب يا سيدى .

ومضى إلى الداخل ، ثم عاد . وكانت السخرية تظهر فى عينيه وفى صوته وهو يقول لعم على ، وهو يدس فى يده شيئاً : « البك يسلم عليك » .

نظر الرجل إلى قطعة النقود التى وضعت فى كفه وهو ذاهل . إنها خمسة قروش ... اضطرب صوته ، وبدت فيه الذلة وهو يغمغم : « إننى لم أكن أريد نقوداً . كنت أريد أن أقابله لأجل .. » .

وشلت عبارته بين شفتيه . لم يستطع أن يتمها . فإن البواب قاطعه بجفاء : « لا تتعب نفسك . مهما تنتظر فلن تحصل على أكثر من ذلك » .

ودفعه نحو الطريق بلا رفق ..

ومضى يدب على عصاه ! وهو لا يعى أن أصابعه مطبقة على القطعة الفضية الصغيرة . ووقف فى نهاية الشارع يستعيد صوابه ويلتقط أنفاسه ويجفف عرقه .

وحانت منه التفاته إلى الوراء ، إلى بيت النائب المحترم ، فإذا السيارة اللامعة تدرج ناحيته ثم تقترب منه .. وتلتقى عيناه بعينى عاصم بك . لكن السيارة لا تتوقف ولا تخفف من سرعتها .. وتمضى فى سبيلها .

وكانت مياه الرش متجمعة فى جانب الطريق المنحدر ، فلما مرت بها السيارة تناثر الماء الملوث بالتراب وأصاب رذاذه وجه عم على وجلبابه الأبيض .

ونظر المسكين بحسرة إلى السيارة وهى تختفى ، ثم بدأ يمسح وجهه ويرمق بحزن ثوبه الملطخ .

وسقطت القطعة الفضية الصغيرة من بين أصابعه دون أن يشعر .

عندما لمح عاصم بك عم على ظن أنه يريد أن يشكره على هبته !

وبينما كانت السيارة تنهب الطريق أخذ يتلهى بالتفكير فى هؤلاء الناخبين ، وعجب وهو يتبين أن الصلة بينه وبينهم تبعد . إنه لم يكن يكذب أو يخادع عندما كان يقول إن بابه سيكون مفتوحاً لهم ، وإنه سيكون دائم الاتصال بهم . لقد كان صادقاً . ولقد تخلف عن وعوده ومواثيقه بحسن نية .

أخذ يعتذر عن نفسه لنفسه .. لم يكن يقدّر أن وقته سيمتلئ بالمشاغل . فما أكثر الحفلات التى يدعو ويدعى إليها . إنه مضطر أن يرعى مستقبله السياسى ؛ فلابد أن يجامل وأن يسهر فى الأندية ، ويحتك بكبار الرجال .

ومع ذلك فإن عم على والنائب المحترم اشتركا فى شىء واحد فى تلك الليلة .. الأرق .

كيف يستطيع عم على أن ينام وهو يفكر فى شاربه الذى يجب أن يحلقه من الغد . وكيف يستطيع عاصم بك أن ينام وهو يفكر أن بين النيابة والوزارة خطوات قصاراً إذا ابتسمت الأقدار .

وفى الهزيع الأخير من الليل صرع النعاس عم على ... وأغلق أجفان عاصم بك أيضاً ....

ورأى عم علىّ فى حلمه رذاذ الماء الملوث بالطين يتناثر على وجهه ويلطخ ثوبه .

ورأى عاصم بك فى حلمه ... كرسى الوزارة !

سلسلة (اقرأ)

الكتب التي نشرت فيها منذ صدورها في يناير ١٩٤٣ حتى الآن

١ أحلام شهر زاد
(تأليف : طه حسين) .
٢ شاعر الغزل : عمر بن أبي ربيعة
(عباس محمود العقاد)
٣ مذبح المريخ : (فؤاد صروف)
٤ عود على بدء
(إبراهيم عبد القادر المازني)
٥ دستويفسكي (حسن محمود)
٦ شاعر ملك (علي الجارم)
٧ الشاعر الرجيم بودلير
(عبد الرحمن صدقي)
٨ مذكرات دجاجة
(إسحق موسى الحسيني)
٩ المذاهب السياسية المعاصرة
(علي أدهم)
١٠ شفاء النفس (يوسف مراد)
١١ الكون العجيب (قدري حافظ طوقان)
١٢ سنوحي (محمد عوض محمد)
١٣ جميلة بثينة (عباس محمود العقاد)
١٤ من يوميات فتاة عصرية
(حسين شوقي)
١٥ بايرون (أمينة السعيد)
١٦ دمشق : مدينة السحر والشعر
(محمد كرد علي)
١٧ شكسبير (محمد فريد أبو حديد ،
وزكي نجيب محمود وأحمد خاكي)
١٨ قنديل أم هاشم (يحيي حقي)
١٩ سيدة القصور (علي الجارم)
٢١ أبو نواس (عبد الحليم عباس)
٢٢ جحا في جانبولاد
(محمد فريد أبو حديد)
٢٣ صوت أبي العلاء (طه حسين)
٢٤ لافوازييه
(عبد الحميد يونس ،
وعبد العزيز أمين)
٢٥ قصة البنيسيلين
(مصطفى عبد العزيز)
٢٦ العشاق الثلاثة (زكي مبارك)

٢٧ بغداد مدينة السلام (طه الراوى)
٢٨ بوشكين : أمير شعراء روسيا
(نجاتى صدقى)
٢٩ النار والنور (أمين إبراهيم كحيل)
٣٠ قطر الندى (محمد سعيد العريان)
٣١ الغزالى (طه عبد الباقى سرور)
٣٢ الشيخ قرير العين
(كرم ملحم كرم)
٣٣ فى بيتى (عباس محمود العقاد)
٣٤ فارس بنى حمدان (على الجارم)
٣٥ جوته (صديق شيبوب)
٣٦ مع الحيات (حسين فرج زين الدين)
٣٧ العناصر النفسية فى سياسة العرب
(شفيق جبرى)
٣٨ العلم والحياة (على مصطفى مشرفة)
٤٠ مهد العرب (عبد الوهاب عزام)
٤١ الفيتامينات
(مصطفى عبد العزيز ،
ومحمد رشاد الطوبى)
٤٢ قصة عبقرى (يوسف الشى)
٤٣ عنترة بن شداد
(محمد فريد أبو حديد)
٤٤ قصة العدوى
(محمد عبد الحميد جوهر)

٤٥ مشاهدات فى الهند (أمينة السعيد)
٤٦ الشيخ الرئيس : ابن سينا
(عباس محمود العقاد)
٤٧ أبو زيد الهلالى
(محمد فهمى عبد اللطيف)
٤٨ غرائز الحيوانات
(محمد محمد فياض)
٤٩ بين البحر والصحراء
(شفيق جبرى)
٥٠ تشيخوف (نجاتى صدقى)
٥١ الشاعر الطموح (على الجارم)
٥٢ النار الخالدة (فؤاد صروف)
٥٣ قصة الكتابة العربية
(إبراهيم جمعة)
٥٤ تولستوى (حسن محمود)
٥٥ مع الأسماك
(حسين فرج زين الدين ،
وموسى باسيليوس)
٥٦ طرائف من الصحافة
(محمود العزب موسى)
٥٧ قضية فلسطين (محمد رفعت)
٥٨ خاتمة المطاف (على الجارم)
٥٩ الجوارى (جبور عبد النور)
٦٠ شجرة الدر (محمد سعيد العريان)

٦١ الموج الساحر (محمد عاطف البرقوقى)
٦٢ مرح الوليد (على الجارم)
٦٣ رفيق الأرض (نظمى لوقا)
٦٤ الأغذية الشعبية
(حسن عبد السلام)
٦٥ عمر بن عبد العزيز
(أحمد زكى صفوت)
٦٦ مملكة العذارى (أحمد أبو شادى)
٦٧ أمير قصر الذهب (طاهر الطناحى)
٦٨ جمال الدين الأفغانى
(عبد القادر المغربى)
٦٩ رحلة الربيع (طه حسين)
٧٠ الجبرتى (خليل شيبوب)
٧١ الهرمونات (محمد رشاد الطوبى ، وفؤاد خليل)
٧٢ فولتير (سليم سعدة)
٧٣ أسرار الحياة (مصطفى عبد العزيز وعبد العزيز أمين)
٧٤ قصر الرشيد (طه الحاجرى)
٧٥ العيون فى العلم
(قدرى حافظ طوقان)
٧٦ ثم غربت الشمس (سهير القلماوى)
٧٧ المغنى المجنون (أحمد الصاوى محمد)
٧٨ سقراط (على حافظ بهنسى)
٧٩ بيرانديلو (محمد أمين حسونة)
٨٠ الحب الكراهية
(أحمد فؤاد الأهوانى)
٨١ فى بلاد النجاشى (مراد كامل)
٨٢ فرانزليست (خليل هنداوى)
٨٣ من النافذة
(إبراهيم عبد القادر المازنى)
٨٤ الوراثة والجنس (عبد الحليم منتصر)
٨٥ بيتهوفن (محمد فهمى أبو النصر ، وهدى حبيشة)
٨٦ الوعد الحق (طه حسين)
٨٧ غادة رشيد (على الجارم)
٨٨ الهنود الحمر (على عبد الواحد وافى)
٨٩ برنارد شو (عباس محمود العقاد)
٩٠ قصة البترول
(يوسف مصطفى الحارونى)
٩١ جابر بن حيان وخلفاؤه
(محمد محمد فياض)
٩٢ الجامحة (أمينة السعيد)
٩٣ العالم سنة ٢٠٠٠
(على عبد الجليل راضى)
٩٤ طرائف من التاريخ
(مصطفى الشهابى)
٩٥ من أضواء الماضى (سامى الكيلانى)

٩٦ شيخ التكية (محمد عبده عزام)
٩٧ فلاسفة الحكم فى العصر الحديث
(عباس محمود العقاد)
٩٨ الخوف (أحمد فؤاد الأهوانى)
٩٩ نساء محاربات (صوفى عبد الله)
١٠٠ قصة العناصر (إمبابى أحمد)
١٠١ ملامح من المجتمع العربى
(محمد عبد الغنى حسن)
١٠٢ من نافذة العقل (نقولا فياض)
١٠٣ المهدى والمهدوية (أحمد أمين)
١٠٤ أرض المعجزات (بنت الشاطئ)
١٠٥ الحب الضائع (طه حسين)
١٠٦ سجل التوبة (أمين الريحانى)
١٠٧ تحرير وادى النيل (محمود كامل)
١٠٨ سارة (عباس محمود العقاد)
١٠٩ نديم الخلفاء
(عبد الستار أحمد فراج)
١١٠ نحن المعمرون (حسن عبد السلام)
١١١ الصعلكة والفتوة فى الإسلام
(أحمد أمين)
١١٢ مع طه حسين (سامى الكيالى)
١١٣ عبقرية الإمام (عباس محمود العقاد)
١١٤ الفن المصرى الإسلامى
(محمد عبد العزيز مرزوق)
١١٥ الإمام المراغى (أنور الجندى)
١١٦ اللحن الشرود (كرم ملحم كرم)
١١٧ تيجان تهاوت (محمد عبد الغنى حسن)
١١٨ المعذبون فى الأرض (طه حسين)
١١٩ نساء شهيرات (مبارك إبراهيم)
١٢٠ شاعر الشعب (محمد سامى الدهان)
١٢١ عذراء الأندلس
(أحمد الصاوى محمد)
١٢٢ أشطر من إبليس (محمود تيمور)
١٢٣ الحكماء الثلاثة
(أحمد الشنتناوى)
١٢٤ قصة العقاقير (محمود محمد سلامة)
١٢٥ الصديقة بنت الصديق
(عباس محمود العقاد)
١٢٦ من ذكريات الفن والقضاء
(توفيق الحكيم)
١٢٧ شلى (أحمد الصاوى محمد)
١٢٨ الجدة الصغيرة (حسن محمود)
١٢٩ زامر الحى (محمود تيمور)
١٣٠ فى بطون الليالى (رشاد دارغوث)
١٣١ أمين الريحانى (مارون عبود)
١٣٢ البساط السحرى (عبد السلام فهمى)
١٣٣ النسيان (أحمد فؤاد الأهوانى)
١٣٤ أساطير مصرية (عبد المنعم أبو بكر)

١٣٥ ليلى العفيفة (عادل الغضبان)
١٣٦ أبو على الفنان (محمود تيمور)
١٣٧ سيكولوجية الجنس (يوسف مراد)
١٣٨ الجمعيات السرية (على أدهم)
١٣٩ تيمورلنك (محمد محمد فياض)
١٤٠ عائشة بنت طلحة (كمال بسيونى)
١٤١ بنت قسطنطين (محمد سعيد العريان)
١٤٢ بطل السند (محمد عبد الغنى حسن)
١٤٣ ابن عمار (ثروت أباظة)
١٤٤ ابن بطوطة فى العالم الإسلامى
(إبراهيم أحمد العدوى)
١٤٥ عيون معصوبة (محمد كامل)
١٤٦ هذا الإنسان (حبيب صادر)
١٤٧ مارس يحرق معداته
(عيسى الناعورى)
١٤٨ أخى المواطن (فتحى رضوان)
١٤٩ بين البقاء والفناء
(قدرى حافظ طوقان)
١٥٠ وعى الشباب (واصف البارودى)
١٥١ العاشقة المتصوفة (وداد سكاكينى)
١٥٢ قلوب معذبة (قدرى قلعجى)
١٥٣ دماء وطين (يحيى حقى)
١٥٤ أينشتين والعالم
(محمد عاطف البرقوقى)
١٥٥ بنت يزيد (سامى الكيالى)
١٥٦ النوم والأرق (أحمد فؤاد الأهوانى)
١٥٧ غرام الأدباء (عباس خضر)
١٥٨ الغيرة (إبراهيم المصرى)
١٥٩ أجواء (حسن محمود)
١٦٠ حبات المسبحة (يحيى نامق)
١٦١ الفلسفة الوجودية (زكريا إبرهيم)
١٦٢ مكسيم غوركى (نجاتى صدقى)
١٦٣ غرائب الرحلات
(محمد عبد الغنى حسن)
١٦٤ دانتى (مصطفى آل عيال)
١٦٥ مصرع طاغية (حسن رشاد)
١٦٦ الأحلام والرؤى (عبد العزيز جادو)
١٦٧ أنات الساقية
(حسن عبد الله القرشى)
١٦٨ القارة العذراء (محمود العزب موسى
١٦٩ عادات الزواج وشعائره
(أحمد الشنتناوى)
١٧٠ القلق (أبو مدين الشافعى)
١٧١ حرب الخامات (عبد الحليم منتصر)
١٧٢ المخترعون (أحمد طه السنوسى)
١٧٣ الجزر الخضراء (حبيب جاماتى)
١٧٤ فنون السحر (أحمد الشنتناوى)
١٧٥ هذا الشرق العربى (فتحى رضوان)

١٧٦ عودة المفقود (حسن رشاد)
١٧٧ صور من أفريقية
(محمد محمود الصياد)
١٧٨ الصعود إلى المريخ
(محمد جمال الدين الفندى)
١٧٩ السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى
(إبراهيم أحمد العدوى)
١٨٠ ضعاف العقول (مترى أمين)
١٨١ هجرة الحيوان
(أحمد حماد الحسيني)
١٨٢ لمحات من الأدب الروسى
(ماهر نسيم)
١٨٣ الثريا (كمال بسيونى)
١٨٤ المراسل الحربي
(محمود محمد الجوهرى)
١٨٥ الغبار الذرى
(محمد جمال الدين الفندى)
١٨٦ عاشقة نفسها (حسن رشاد)
١٨٧ طاغور (جميل جبر)
١٨٨ الثورة العرابية وأثرها فى تطور الشعب ونهضته
(محمد عصام المرشدى)
١٨٩ عصر الإلكترونات
(جورج وهبه العنى)
١٩٠ المساجد والقصور بالأندلس
(السيد محمود عبد العزيز سالم)
١٩١ الهزات الزلزالية (محمد على المغربى)
١٩٢ أدباء الجزائر (إبراهيم الكيلانى)
١٩٣ دون جوان (لطفى عبد البديع)
١٩٤ الطوطمية (على عبد الواحد وافى)
١٩٥ محكمة الضمير (حسن رشاد)
١٩٦ قوى الطبيعة فى خدمتك
(جمال الدين الفندى)
١٩٧ جان جاك روسو
(محمد سامى الدهان)
١٩٨ الكلف الشمسى (محمد على المغربى)
١٩٩ عرس ومأتم (البدوى الملثم)
٢٠٠ مواطن أمام القضاء
(فاضل السباعى)
٢٠١ التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً
(أحمد الشنتناوى)
٢٠٢ الارهاق العصبى (نظمى خليل)
٢٠٣ القومية العربية فى الأدب الحديث
(محمد زغلول سلام)
٢٠٤ فيكتور هوجو (جورج زايد)

٢٠٥ الوجودية والإسلام
(محمد لبيب البوهى)
٢٠٦ جولة فى الإقليم الشمالى
(يوسف سمارة)
٢٠٧ الناصر صلاح الدين
(محمد سامى الدهان)
٢٠٨ الإسلام فى السودان
(محجوب زيادة)
٢٠٩ حال الدنيا (حسن رشاد)
٢١٠ أمراض الصيف (أنيس فهمى)
٢١١ الفروسية العربية فى العصر الجاهلى
(سيد حنفى)
٢١٢ العرب ورسالتهم الإنسانية
(على حسنى الخربوطلى)
٢١٣ الألعاب الأولمبية
(مصطفى الشهابى)
٢١٤ عصر التليفزيون
(جورج وهبى العنى)
٢١٥ قصة ملكة سبأ (زاهر رياض)
٢١٦ وحدة العرب
(إبراهيم الدسوقى البساطى)
٢١٧ لكى تكون سعيداً
(عبد العزيز جادو)
٢١٨ الشفق القطبى (محمد على المغربى)
٢١٩ ثمن الكرامة (سلامة خاطر)
٢٢٠ الحب المثالى عند العرب
(يوسف خليل)
٢٢١ التصنيع طريقنا إلى القوة والرخاء
(حسن الأشمونى)
٢٢٢ الحياة المثالية وكيف نحققها
(محمود أحمد حماد)
٢٢٣ الشاعر الشهيد هاشم الرفاعى
(محمد كامل حتة)
٢٢٤ الأسنان ، أمراضها وعلاجها
(حليم الكدوانى)
٢٢٥ المجتمع العربى (محمود الشرقاوى)
٢٢٦ النفس الإنسانية فى أدب الجاحظ
(سامى الكيالى)
٢٢٧ الإنسان والمرض (أحمد مختار)
٢٢٨ التعبئة الروحية فى بناء المجتمع
(حسن الأشمونى)
٢٢٩ الطريق إلى النجاح
(عبد العزيز جادو)
٢٣٠ الجغرافيون العرب
(مصطفى الشهابى)
٢٣١ صور من كفاح الشعب العربى
(جمال الدين الرمادى)

٢٣٢ أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة (رجاء النقاش)
٢٣٣ المرأة فى الشعر البحترى (نعمات أحمد فؤاد)
٢٣٤ حبة البرتقال (أحمد العنانى)
٢٣٥ المساومة فى الإسلام (على عبد الواحد وافى)
٢٣٦ عالج نفسك (كمال دسوقى)
٢٣٧ باقة طبية (محمد كامل سند)
٢٣٨ قلب عذراء (إبراهيم المصرى)
٢٣٩ أخطاء الأطباء (فائق الجوهرى)
٢٤٠ نفوس تتكلم (وداد سكاكينى)
٢٤١ نحو حياة مشرقة (عبد العزيز جادو)
٢٤٢ تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية (محمود سلام زناتى)
٢٤٣ لماذا الاشتراكية العربية ؟ (لمعى المطيعى)
٢٤٤ التماثيل المكسورة (رجاء النقاش)
٢٤٥ الفن وتنمية السلوك الاشتراكى (محمود البسيونى)
٢٤٦ اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة (محمد السيد أيوب)
٢٤٧ البحر المتوسط بحيرة عربية (على حسنى الخربوطلى)
٢٤٨ من الأدب الإفريقى (على شلش)
٢٤٩ عصر الطاقة الشمسية (جورج وهبه العفى)
٢٥٠ ابن حمديس الصقلى (على مصطفى المصراتى)
٢٥١ القيادة الجماعية فى مجال التطبيق العملى (أحمد مصطفى عيسى)
٢٥٢ الأمن والسلام فى الإسلام (جمال الدين الرمادى)
٢٥٣ الصين والعرب عبر التاريخ (محمد محمود زيتون)
٢٥٤ من أعلام الحرية فى العالم العربى الحديث (أنور الجندى)
٢٥٥ العوالم الأخرى (محمد جمال الدين الفندى)
٢٥٦ عشرة من الخالدين (إبراهيم المصرى)
٢٥٧ أمراض نفسية (كمال دسوقى)
٢٥٨ المحاماة فى المجتمع الاشتراكى (أبو اليزيد على المتيت)
٢٥٩ مع العقاد (شوقى ضيف)
٢٦٠ دعاء (على أمين)
٢٦١ عروبتنا (محمود كامل)
٢٦٢ بقايا كل شىء (أنيس منصور)

٢٦٣ عجائب الأرض والسماء
(محمد جمال الدين الفندى)
٢٦٤ ٤٥ مشكلة حب (مصطفى محمود)
٢٦٥ الأمثال فى القرآن
. (محمود بن الشريف)
٢٦٦ النقائص والنجاح
(ضياء الدين أبو الحب)
٢٦٧ آخر كلمات العقاد
(الأستاذ عامر العقاد)
٢٦٨ لبيك (محمد كامل حتة)
٢٦٩ قلوب الخالدين (إبراهيم المصرى)
٢٧٠ فى أضواء المسرح (رجاء النقاش)
٢٧١ نماذج من النساء
(محمد زكى عبد القادر)
٢٧٢ الجسد والميكروب
(مصطفى عبد العزيز)
٢٧٣ مذكرات طبيبة (نوال السعداوى)
٢٧٤ المزاعم الصهيونية فى فلسطين
(فتحى فوزى عبد المعطى)
٢٧٥ الوحدة الإفريقية
(محمد أبو الفتوح الخياط)
٢٧٦ صنيعة الشيطان (حسن رشاد)
٢٧٧ عبد المطلب جد الرسول
(على حسنى الخربوطلى)
٢٧٨ يوسف الصديق (محمد طلبة رزق)
٢٧٩ مع الآخرين (أنيس منصور)
٢٨٠ الدعاء فى القرآن
(محمود بن الشريف)
٢٨١ خالدون فى الوطن (إبراهيم المصرى)
٢٨٢ الصيدلة علم وفن وإنسانية
(جورج وهبه العفى)
٢٨٣ دماء فى الفجر « فى سبيل الحرية »
قصة بدأها الرئيس « جمال عبد الناصر » وهو طالب بالمدارس الثانوية عن معركة رشيد سنة ١٨٠٧ وأكملها فاروق حلمى .
٢٨٤ عروسة على الرف (صوفى عبد الله)
٢٨٥ فيتامينات وهرمونات
(محمد صدقى عبده ومحسن الدناصورى ونجيب الأبراشى)
٢٨٦ الغذاء الكامل أساس الصحة
(أسامة أمين العطار)
٢٨٧ قصص من جوته « ترجمة »
(عبد الغفار مكاوى)
٢٨٨ قصص الحب العربية—أغراضها وتطورها (عبد الحميد إبراهيم محمد)
٢٨٩ البارونة أم أحمد (محمود تيمور)

٢٩٠ شخصيتك فى الميزان
(عبد الكريم دهينة)
٢٩١ الكعبة على مر العصور
(على حسنى الخربوطلى)
٢٩٢ شيء من الخوف (ثروت أباظة)
٢٩٣ معركة العلمين (السيد فرج)
٢٩٤ كوكب الإنسانية
(أحمد حسين المحامى)
٢٩٥ فلسطين قلب العروبة
(محمد فيصل عبد المنعم)
٢٩٦ البترول العربى فى المعركة
(محمد أمين)
٢٩٧ ابن السلطان (عبدالغفار مكاوى)
٢٩٨ ٤ كتب و ٤ كتاب
(محمد بدر الدين خليل)
٢٩٩ التغذية ومخاطر الصناعة
(أسامة أمين العطار)
٣٠٠ الصيام فى القرآن (محمد الدسوقى)
٣٠١ مع طه حسين — الجزء الثانى
(سامى الكيالى)
٣٠٢ نشيد الكروان (طاهر الطناحى)
٣٠٣ من عجائب الحياة (فوزى الشتوى)
٣٠٤ الحرية فى الإسلام
(على عبد الواحد وافى)

٣٠٥ قصة الفلسفة (مراد وهبة)
٣٠٦ سندباد فى رحلة الحياة
(حسين فوزى)
٣٠٧ قالت له (محمد زكى عبد القادر)
٣٠٨ البحر والناس
(سيد حسن شرف الدين)
٣٠٩ التفاؤل والتشاؤم
(نجيب يوسف بدوى)
٣١٠ حوار مع برتراند رسل وسارتر
(لطفى الخولى)
٣١١ حرب الأفيون (محمد العزب موسى)
٣١٢ الرسول فى رمضان
(على حسنى الخربوطلى)
٣١٣ « عفراء » قصة الحب الخالد
(فايد العمروسى)
٣١٤ الفداء فى الإسلام (أحمد الشرباصى)
٣١٥ أعترف إليك (أحمد فؤاد تيمور)
٣١٦ سجين ثورة ١٩١٩
(محمد مظهر سعيد)
٣١٧ صور باريسية (يوسف فرانسيس)
٣١٨ أسنانك وكيف تحافظ عليها
(فاروق مرشد)
٣١٩ فى مواجهة إسرائيل
(إسماعيل صبرى عبد الله)

٣٢٠ مذكرات زوج (أحمد بهجت)
٣٢١ الإنسان الأوربى فى الجد واللعب (عبد الستار الطويلة)
٣٢٢ قناة السويس فى مائة عام (محمد عبد الرحمن برج)
٣٢٣ مع المصطفى فى عصر البعث (بنت الشاطىء)
٣٢٤ هوشى منه (جورج عزيز)
٣٢٥ لمحات من المسرح العالمى (جاذبية صدقى)
٣٢٦ الروح والخلود بين العلم والفلسفة (عبد العزيز جادو) — تقديم (رؤوف عبيد)
٣٢٧ مواقف إسلامية (عبد العزيز كامل)
٣٢٨ المعقول واللا معقول (أحمد فؤاد الأهوانى)
٣٢٩ رسائل إلى ولدى خالد (بقلم البدوى الملثم)
٣٣٠ أروى بنت اليمن (عارف تامر)
٣٣١ البطولة فى الشعر العربى (شوقى ضيف)
٣٣٢ يوم بيوم (أنيس منصور)
٣٣٣ رسائل وأسرار (محمد التابعى)
٣٣٤ ماذا نستخرج من البترول (جورج وهبه العفى)
٣٣٥ القرآن والتفسير العصرى « هذا بلاغ للناس » (بنت الشاطىء)
٣٣٦ مكرر — أيام خالدة فى حياة عبد الناصر (جمال الدين العطيفى)
٣٣٦ النفس والبدن (إبراهيم فهيم)
٣٣٧ فى اللغة والأدب (إبراهيم بيومى مدكور)
٣٣٨ الهجرة فى القرآن (محمد الدسوقى)
٣٣٩ مومس تؤلف كتاباً وقصص أخرى (فتحى رضوان)
٣٤٠ محمد عبد الوهاب (محمود عوض)
٣٤١ فى مولد النبى (حسين الشافعى)
٣٤٢ صراع الأجيال فى أدبنا المعاصر (غالى شكرى)
٣٤٣ إنى صاعدة (حلمى سلام)
٣٤٤ الوادى السعيد (لويس عوض)
٣٤٥ مذكرات ذرة (عبد المحسن صالح)
٣٤٦ ذكريات عارية (السيد أبو النجا)
٣٤٦ مكرر أحاديث رمضان (عبد العزيز كامل)
٣٤٧ بنك القلق (توفيق الحكيم)
٣٤٨ نحو النور (محمد زكى عبد القادر)
٣٤٩ هؤلاء علمونى (سلامه موسى)

محتويات الكتاب

	صفحة
قوام رشيق	٧
الوزير والراقصة	٢٣
هذا أنت !	٣٥
سيدة . . فاضلة جداً !	٥١
الرغيف القاتل	٧١
أربعة ذئاب . . ونعجة !	٨٧
الكمسارى	١٠٣
كله تمام !	١١٣
يد . . على الزناد !	١٣٣
دموع . . فى عيون ضاحكة	١٣٩
رحلة صيف	١٥٧
عاصم بك . . نائب محترم !	١٦٧

الكتاب القادم

(عدد مارس ١٩٧٢)

من أخطاء القضاء

مجموعة قضايا ومحاكمات عن جرائم عالمية

بقلم

حسن الجداوى

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٨٢٢ / ١٩٧٢

مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢

